الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الفرع: دراسات أدبية **التخصص:** أدب حديث و معاصر

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الموسومة بـ :

شعرية الوصف بين شعراء المشرق وشعراء الأندلس قديما

إعداد الطالبتين :

- بن حجلة حياة .
- سهيلي سعاد .

إشراف الأستاذ:

د. منقور صلاح الدين.

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة
يوسفي يوسف	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
منقور صلاح الدين	أستاذ محاضر "أ"	**مشرفا ومقررا**
بوشريحة إبراهيم	أستاذ محاضر "ب"	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1442–1443هـ / 2021–2022م

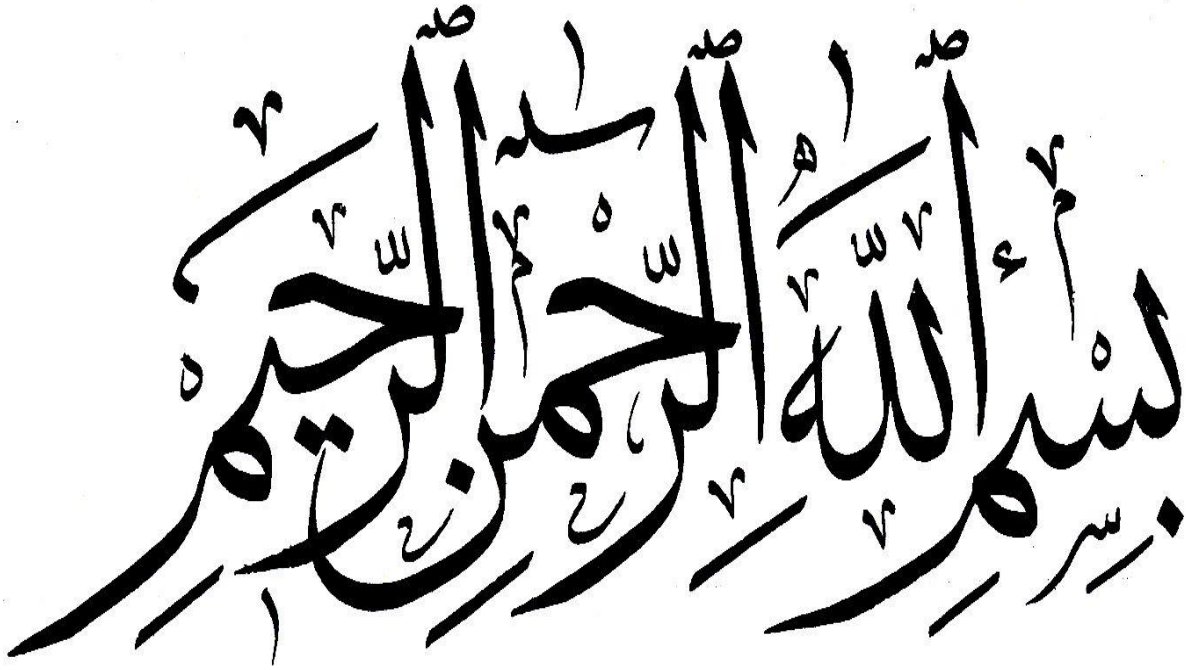
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي ساعدنا على إنجاز هذه المذكرة وأنار لنا دربنا ووفقنا في مهمتنا العلمية أسمى عبارات الشكر والتقدير من الطالبتين: سهيلي سعاد وبن حجلة حياة نرسلها للأستاذ "منقور صلاح الدين"

عبر نفحات النسيم وأريج الأزاهير فشكرا لنا ولك على كل ما قدمته لنا ولأنك لم تبخل علينا يوما في إنجاز مذكرة تخرجنا بارك الله فيك ودمت في خدمة العلم والجامعة.

ونتقدم بالشكر والتقدير كذلك إلى لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقراءة هذه الرسالة.

وأخص بجزيل الشكر والعرفان كل ما أشعل شمعة في دروب عملنا، ووفق على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا... إلى الأساتذة الكرام في اللغة العربية لهم منا كل الشكر والتقدير.

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد:

-الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى.

إلى من شجعني على المثابرة طوال عمري، إلى الرجل الأبرز في حياتي "والدي العزيز".

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعز إنسانة في حياتي، التي أنارت دربي بنصائحها، وكانت بحرا صافيا يجري بفيض الحب، والبسمة.

إلى من زينت حياتي بضياء البدر، وشموع الفرح، إلى من منحتني القوة والعزيمة لمواصلة الدرب، وكانت سببا في مواصلة دراستي، إلى من علمتني الصبر والاجتهاد، إلى الغالية على قلبي "أمي".

إلى من علمني أن الدنيا كفاح... وسلاحها العلم والمعرفة.

إلى الذي لم يبخل عني بأي شيء، أخي بومدين وزكريا.

إلى رفيقات المشوار اللاواتي قاسمنني لحظاته.

حياة.

الإهداء

الحمد لله الذي أنار لي درب المعرفة على انجاز هذا البحث المتواضع

-فيسرني ويبهجني أن أهدي ثمرة عملي إلى:

من غرس الإيمان وسقاه الفيض والحنان، إلى من أطعمني السعادة وعلمني حب العمل والإرادة إلى من جعل نفسه جسرا إلى بر الأمان كل شيء. إلى من جعل حياته نورا أسقاني بنوره الوهاج، إلى رمز عزتي وافتخاري إلى أبي.

-إلى من رعتني بالحب والحنان... حملتني ولم تسلم مني الأحضان، للتي سهرت على رعايتي لأعوام... وتحملت من أجل كل الآلام، للتي رعتني رغم بلوغي لأعوام... إلى أمي الغالية.

إلى أخواتي: عبد الرحمان، مُحَمَّد، إيمان.

إلى صديقاتي التي عرفت منهن معنى الصداقة رعاهم الله ووفقهم.

إلى من تقاسمت معي العناء والجهد لانجاز هذا البحث المتواضع: حياة إلى من جمعتني بهم الحياة تذوقوا معي أجمل اللحظات، إلى كل من أحببتهم في الله.

سهيلي سعاد.

مقدمة

مقدمة:

شهدت شعرية الوصف تحولات كبيرة بين شعراء المشرق وشعراء الأندلس على مستوى سيرورة القراءة مما جعلها تحذو من جدلية الشعراء على الساحة الأدبية والنقدية وهذا ما حملها صراعا كبيرا ولّد لنا وصفا دقيقا بين أعلامه. ولهذا تبقى خصوصية أصل فهم جمالية الوصف بين الشعراء على مختلف أجناسهم مربطا قويا يضم كل أركان الشعر على اختلاف أنواعه، فكل له رأي خاص في استحواذ الصورة الشعرية الوصفية التي كانت منطلقا كبيرا في فهم أسرار البلاغة ومراتبها، ولكن لا ننفي موضوعه الذي يحمل أسرار شعرية تتم عن قراءة الأشعار بمنطلق عقلي وذوقي، وهذه الآليات بلورت من مفهوم الوصف حيث جعلته يرقى إلى العالمية عن طريق ما يسمى بالمنافسة الجمالية فخرج شعراء المشرق يدلون بدلوهم في مجال وصف البوادي والطبيعة والحيوانات وذلك عن طريق بعد النظر والاعتماد على التحليل المنطقي والعقلي والفلسفي وخاصة الجانب النفسي منها كما لا تفوتنا براعة الأندلسيين في اختيار أشعارهم وتطورها على أكمل وجه مما جعل الحياة تعلو عند بعضهم نتيجة الاحتكاك بالثقافة والبيئة والطبيعة والمنطلقات الفكرية الفلسفية.

ولعل الخلفيات التي كانت آنذاك سببا رئيسيا في الوصف بين الشعراء سواء قديما أو حديثا مما فتح آفاقا جديدة للشعراء أن يرتقوا بالوصف الشعري على أحسن وجه.

وتحت مضلة هذا التقديم نطرح مجموعة من التساؤلات:

1. ماهي خصائص الوصف وأبعاده الجمالية ؟
2. هل يمكن الوقوف على فروقات بين الوصف عند المشارقة والوصف عند المغاربة ؟

للإجابة على هذه التساؤلات جاء موضوع بحثنا الموسوم ب: شعرية الوصف بين شعراء المشرق وشعراء الأندلس قديما.

والسبب في ذلك راجع إلى ما يزخر به تراثنا من أشعار والفكر الواسع للوصف الدقيق بين الشعراء على اختلاف أجناسهم والذي ينقل من جيل إلى جيل وجهود شعراء المشرق وشعراء المغرب فقول في معرفة الوصف عندهم.

وعند قراءتنا لبعض الكتب استقامت الرؤية واتضحت الفكرة.

استدراج هذا البحث حيث كان تقسيمه إلى فصلين مسبوقة بمقدمة أما الفصل الأول عنوناه ب: مفهوم الوصف ومراحله. ففي المبحث الأول تحدثنا عن: مفهوم الوصف، أسباب انتشار الوصف في الشعر العربي، أجود الوصف، مراحل فن الوصف.

أما في **المبحث الثاني** فكان عنوانه: خصائص الوصف عند شعراء المشرق عبر العصور، فتحدثنا في المبحث الثاني عن:

الوصف في العصر الجاهلي، الوصف في عصر صدر الإسلام، الوصف في العصر الأموي، الوصف في العصر العباسي وتطرقنا إلى الموضوع واللغة والصورة الشعرية عبر العصور أما الفصل الثاني: وسمناه ب: أجواء الأندلس، فتحدثنا في المبحث الأول عن: الطبيعة والمجتمع الأندلسي، والبيئة الفكرية في الأندلس أما المبحث الثاني عنوناه ب: الوصف في الشعر الأندلسي وخصائصه.

أ-الموضوع، ب-اللغة، ج-الصورة الشعرية كما أننا تطرقنا أيضا إلى شعراء الوصف بالإضافة إلى الفرق بين شعراء الوصف في المشرق وشعراء الوصف في الأندلس.

وخاتمة خلصنا إلى مجموعة من النتائج.

أما المنهج المتبع قصد دراسة هذا الموضوع هو المنهج الوصفي التحليلي قصد تحليل بعض الظواهر العربية أو المنهج التاريخي قصد التتبع الكرونولوجي للعصور للوقوف على بعض المضامين التاريخية الموجودة بين الشعراء.

الهدف من هذا البحث هو: بيان مراتب ومنزلة الشعراء في وصف حياتهم الطبيعية أو البيئية وجودة أشعارهم الجمالية.

وتسليط الضوء على شعر الوصف بين الشعراء والتفاضل بينهم مع رسم صورة جمالية تعطي للوصف حقه وكيانه داخل الصور الشعرية على اختلاف أجناسها.

ولم يكن الطريق سهل في تتبع هذا البحث مما جعلنا نحتك بأساتذتنا الأفاضل وعلى رأسهم **الأستاذ المشرف**: منقور صلاح الدين.

-**والأساتذة المناقشين**: أستاذ يوسفي يوسف، وأستاذ بوشريحة إبراهيم.

والكتب التي اعتمدناها في بحثنا هذا:

-فن الوصف وتطوره في الشعر العربي لإيليا الحاوي.

-ملامح الشعر الأندلسي عمر الدقاق.

-في الأدب الأندلسي جودت الركابي.

الطابتان :

- بن حجلة حياة .
- سهيلي سعاد .

جامعة ابن خلدون – تيارت **يوم : الخميس 16 جـــــوان 2022 .**

الفصل الأول

مفهوم الوصف ومراحله

المبحث الأول :مفهوم الوصف ومراحله

1- مفهوم الوصف

2- أسباب انتشار الوصف في الشعر العربي.

3- أجود الوصف

4- مراحل فن الوصف

المبحث الثاني: خصائص الوصف عند شعراء المشرق عبر العصور

1. الوصف في العصر الجاهلي
2. الوصف في عصر صدر الإسلام
3. الوصف في العصر الأموي
4. الوصف في العصر العباسي

أ- الموضوع

ب- اللغة

ت- الصورة الشعرية.

المبحث الأول : مفهوم الوصف ومراحله

1- مفهوم الوصف

2- أسباب انتشار الوصف في الشعر العربي.

3- أجود الوصف

4- مراحل فن الوصف

مفهوم الوصف:

يعد الوصف من بين أغراض الشعر العربي ،وأقربها إلى النفوس حيث طرق الشعراء به كل ميدان قرب من حسهم و إدراكهم، أو قام في تصويرهم، فالشاعر الواصف واسع الخيال قادر على تصوير المحسوس إلى صورة حية، يظهر فيها إبداعه الناتج عن انفعالاته و تأثره بما حوله، و قد اشتدت عنايتهم به، حيث اتسعت دائرته لكل ما وقع تحت أعينهم، و خاصة وصف المناظر الطبيعية، و المشاهد الكونية: كالرياض، و الثمار، و الأزهار و الطيور و الحيوانات و البحار والألوان و أفردوا للوصف القصائد، أو حلو صدورها به وربطوا بين وصف الطبيعة و سائل الفنون الشعرية.

الوصف في اللغة:" هو وصف الشيء له و عليه وصفا وصفة: حلاه"[1]

وفي تعريف المعجم البسيط نجد أن معنى وصف الشيء:" وصفا وصفة نعته بما حوله."[2]

والوصف جزء من منطق الإنسان لأن الروح تحتاج إلى ما تكشفه الكائنات لها و ينكشف للكائنات، و لا يهتم ذلك إلا بالتعبير عن الحقيقة بعبارات سمعية و توجيهها إلى المفاهيم و البصر و القلب بمعنى آخر أصبحت معانيه ملء السمع و البصر.

وقد فسر ابن رشيق الوصف فقال:"" أصل الوصف الكشف و الإظهار و يقال قد وصف الثوب الجسم إذا نم عليه، ولم يستره" و قال قدامة بن جعفر: " الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال و الهيئات" و قال أحمد بن فارس:" هو تحليت الشيء... و الصفة: الأمارة اللازمة للشيء""[3]

فيرى ابن رشيق أن أصل الوصف ينقل ما يحول السمع إلى رؤية، يستمر الوصف في الكشف.

---

[1] ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة الوصف ط،ت: لسان العرب نسخة من العاملين، دار المعارف القاهرة، د.س، ص: 4849.

[2] أنيس ابراهيم و آخرون، المعجم الوسيط، مادة الوصف، ط5 دار المعارف، القاهرة، 2011، ص: 1036.

[3] طليمات غازي: الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه ط1، دار الإرشاد حمص، دمشق، 1992، ص: 64.

وقال بعض المتأخرين:" أبلغ الوصف ما لقلب السمع بصرا، و أصل الوصف الكشف والإظهار".[1]

إن ماهية الوصف الحقيقية تكمن في ذكره لكامل أحوال الموصوف حتى يبدو ظاهرا للمتخيل مجسدا له بصورة واضحة فأفق الوصف أوسع من أن يحاط به و الموصوفات أكثر من أن تحصى.

" الوصف عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله و ضروب نعوته الممثلة له. و أصوله ثلاثة:

الأول: أن يكون الوصف حقيقيا بالموصوف مفرزا له عما سواه.

الثاني: أن يكون ذا طلاوة و رونق.

الثالث: أن يخرج فيه إلى حدود المبالغة و الإسهاب، و يكتفي بما كان مناسبا للحال".[2]

الوصف هو بيان بأمر لفهم شروطه و نوع اللقب الذي يمثله، و له ثلاثة أصول، أولا: الوصف يطابق الموصوف و يفصله عن غيره، ثانيا: أن يكون له جاذبية و تألق، ثالثا: لا يتعدى حدود المغالاة والمبالغة فيكتفي بما يناسب الموقف.

"إن كل أغراض الشعر وصف فالمدح وصف نبل الرجل و فضله و النسيب وصف النساء والحنين إليهن، و الشوق إلى لقاءهن، و الرثاء هو وصف محاسن الميت، و تصوير آثاره و أياديه والهيجاء، وصف سوءات المهجو، و تصوير نقائصه و معايبه، و هكذا نستطيع أن ندخل جميع فنون الشعر تحت الوصف، فهو على هذا الوضع كالدوحة الملتفة الأغصان، الفارغة الأفنان المترامية الظلال، و لكننا نريده مستقلا بذاته، محدود المعالم عن سواه".[3]

[1] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و أدبه، تح: محي الدين، ط5، دار الجيل، 1981، ج2، ص:404.
[2] الهاشمي أحمد، جواهر الأدب العربي في أدبيات و إنشاء لغة العرب، د.ط، مصر، 1969، ج 1، ص: 326.
[3] عبد العظيم قناوي، الوصف في الشعر العربي، ج1، د.ط، القاهرة مصر، 1949، ص 41،42.

و في حقيقة الأمر يعتبر الوصف عمود الشعر و عماده فقد تخلل الوصف معظم الأغراض الشعرية من مدح و هيجاء و رثاء و فخر و غزل فمعظم الأغراض تتضمن الوصف كما أنه يمكننا اعتبار الأغراض الشعرية وصف.

لقد طغى الوصف على الشعر القديم بطريقة كبيرة، حيث أنه تم ذكره في جميع القصائد القديمة و قد رجع هذا لعدة أسباب و هي:

أسباب انتشار الوصف في الشعر العربي القديم:

تعددت الأسباب و من بينها:

1- اهتمام الشعراء القدامى بكل ما يحيط بهم من مظاهر الطبيعة الساكنة من السماء إلى الأرض، حيث جمال السماء و الليل و النهار، و الشمس، و القمر و النجوم، و السحاب و البرق و الرعد، و النباتات و الأشجار.

" مواسم الشعر و أسواقه —اتسم نطاق الشعر في الجاهلية فلم يبق مقتصرا على التعبير عن الخيال و الوجدان فحسب، بل شمل ذكر مفاخر و وصف المعارك و تعداد بعض الحوادث حتى سمى بحق ديوان العرب، أي سجل تاريخهم- من أجل ذلك اقتضى أن ينشد في المجتمعات و في الحفل الغفير فأخذ الشعراء يؤمون الأسواق الخاصة و الأسواق العامة الكبرى لينشر كل واحد منهم محامد قومه أو بدل على براعة نفسه فأصبح الشعر متداول في كل الأماكن فكل ما تراه العين أصبح يقال فالوصف تجلى كل المواضيع"[1]

[1] فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1981، ص: 73.

أجود الوصف:

فأجود الوصف عند أبو هلال العسكري هو:" ما يستوعب أكثر معاني الموصوف حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينيك"[1].

فخير وصف عند أبو الهلال العسكري، و أوضح ما في الوصف أنه يصور لك ما يوصف و تراه أمام عينيك.

"و أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا، و ما استوعب أكبر معاني الموصوف حتى كأنه يصور لك"[2].

تكمن جمالية الوصف في استعمال الألفاظ الراقية و الجميلة فالوصف الحسي أبلغ و أجود من الوصف الخيالي.

كما قال النابغة الجعدي يصف ذئبا جؤذرا:

فَباتَ يُذَكِّيهِ بِغَيرِ حَدِيدَةٍ أَخو قَنَصٍ يُمسي ويُصبحُ مُفطِرا

إِذَا ما رَأَى مِنهُ كُراعاً تَحَرَّكَت أَصابَ مَكانَ القَلبِ مِنهُ فَفَرفَرا[3]

فالنابغة الجعدي ها هنا يصف ذئبا شجاع فأضرمته جمل حديدي فذبحه ليلا ثم أفطر إذا رأى شخص كار متحركة ، فإنه يضرب القلب منه و يهرب فلقد أجاد في وصفه هذا .

" وقد اشتهر ابن المعتز بالإجادة بالأوصاف كلها، إمرئ القيس في الجاهلية و أبي نواس والبحتري وابن الرومي في المحدثين، و رسم صورا صادقة لكل ما وقعت عليه عينه من أمور الحياة

[1] العسكري أبو هلال، الصناعتين،تحقيق، علي البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1952، ص: 128.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي، د.ط، دار الجيل، بيروت، 1990، ص : 172.

[3] النابغة الجعدي الديوان، تحقيق ، واضح الصمد / دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، ص 40 .

ومظاهر الحضارة، و في وصفه رقة و سلاسة ودقة وتفصيل وابتداع في الأسلوب و تجديد في التشبيه و الاستعارة و إكثار من الصور الحية الرائعة"[1].

اشتهر ابن المعتز بكونه مبدعا في الأوصاف المختلفة، مثل امرؤ القيس في عصور ما قبل الاسلام وأبو نواس و البحتري و ابن الرومي في المحدثين فإن الشاعر بينهم لا يتعامل مع ضرورة تحسين ذلك، فقد يكون له دور في أوصاف كثيرة و لكنه في بعضها فريد من نوعه، من وجهة نظر علمية لسلامة الصناعة من خلال الالتزام أفضل وصف هو يقدم لها.

"و لما كان الوصف عند العرب أشبه بالحقيقة العلمية كما مر، كان الشاعر منهم لا يتعاطى إلى ما يحسن من ذلك ضرورة، و قد يشارك في أوصاف كثيرة و لكنه يتفرد بالشهرة في بعضها، من جهة العلم لا من جهة الصناعة. فكلما كان أعلم بأجزاء الموصوف و حالاته. و أقدر على استقصاء هذا العلم في شعره، كان أبلغ في الوصف و أولى بالتقديم فيه، و إن أحسن ما يكون الوصف صادق إذ خرج عن علم، و صرفته روعة العجب، فإنه العلم يعطي مادة الحقيقة و العجب يكسبها صورة من المبالغة الشعرية"[2].

أما قدامة بن جعفر:" فقال: في نعت الوصف و لما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم من أتى في شعره المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهر ما فيه و أولاها حتى يحكيه بشعره و بمثله للحسن بنعته"[3].

فقدامة بن جعفر: في الوصف قال لأن معظم الشعراء لا يصفون إلا في المعقدات التي لها معاني مختلفة.

[1] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي، ص: 176.

[2] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم و النشر، د.ط، القاهرة جمهورية مصر العربية 2012، ص: 737.

[3] ابن جعفر قدامة، نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1956، ص: 130.

كما نجد ابن رشيق القيرواني:" يقول و أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع"[1]

"فأجود الوصف ذلك الذي يرسم في ذهن المتلقي الشيء الموصوف و كأنه أمام عينيه فخير وصف اعترض عليه يكاد يكون مرئيا للسامع، و إذا برع الأوائل بوصف الصحراء و ما مضت، فإن للمتأخرين براعة في الطبيعة الحضارية كالقصور، و البرك و هم : البحتري، و مسلم بن الوليد، و ابن المعتز، و الصنوبري، و الوأواء الدمشقي. و قد ازداد أمر الوصف مع ازدياد الحضارة، و اكتشاف المعالم".[2]

وإذا كان الشعراء الأوائل بارعين في وصف الصحاري و ماضيها، فإن الشعراء اللاحقين كانو جيدين في وصف طبيعة الحضارة مثل القصور و الطبيعة.

"و أسلوبه قوي جزل بليغ، و كان قطري من أفصح العرب بيانا و أبلغهم لسانا نشأ متأدب بآداب الاسلام منطوية جوانحه على الإخلاص له و حب تعاليمه"[3]

وحسن الوصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، و لا يستعمل فيها التقديم و التأخير، و الحذف و الزيادة إلا حذف يفسد الكلام و لا يعمى المعنى، و تضم إلى لفظة منها إلى شكليها، و تضاف إلى لفقها.

"أما مشاهير الوصافين في تاريخ الأدب جاهلية و إسلاما فهم و إن كانوا يجيدون أكثر الأوصاف لكنهم اشتهروا بأنواع غلبت عليهم الإجادة فيها، فاشتهر من نعات الخيل إمرؤ القيس وأبو دؤاد و طفيل الغنوي و النابغة الجعدي، و من نعات الإبل طرفة و أووس بن حجر و كعب بن زهير

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، ج2، ص: 294.
[2] التونجي مُحَمَّد المحجم، المفصل في الأداب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ج2، 884.
[3] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي، ج1ن ص: 149.

و الشماخ، و إن كان أكثر القدماء يجيدون وصفها لأنها مراكبهم، و كان عبيد بن حسين الراعي النميري أوصف الناس لها."[1]

أما الوصافين المشهورين في التاريخ الأدبي من الجاهلية و الإسلام، في حين أنهم جيدون في معظم الأوصاف إلا أنهم معرفون بالتغلب على النوع الأدبي، فإذا كان معظم القدماء يجيدون وصفها لأنها سفينتهم، و كان عبيد بن حسين و الراعي النميري هو أفضل من وصفها، الوصف جزء من الشعر ونادرا ما تجد شاعرا لم يحسن شيئا عنه.

قال امرؤ القيس واصف الخيل:

"الخَيرُ ما طَلَعَتْ شَمسٌ ومَا غَرَبَتْ مَطلبٌ بِتَواصِي الخَيلِ، مَعْصُوبُ.

صُبْتُ عَلَيْهِ وَ مَا تُنْصَبُ من أممٍ إن البَلاَءَ على الأشقَين مَصْبُوبُ"[2]

"و الوصف باب من الشعر قلما تجد شاعر لا يحسن منه شيئا أو أشياء، و لكن هؤلاء الذين عددناهم قد ذهب لهم بالأوصاف التي غلبت عليهم الإجادة فيها صيت بعيد و ذكر، و لم يكن مثل ذلك لمن جاءوا بعدهم و إن أحسنوا في أشياء كثيرة."[3]

غلبت الإجادة في أشعار الشعراء القدامى فلكل شاعر و بما إختص في شعره لكل منهم و بماذا تميزت أشعاره.

"و هكذا ظهرت براعة العباسين في الوصف و قدرتهم على التصوير و قد ساعدهم على الإجادة فيه و السمو بخياله و معانيه، ما رددناه من مظاهر الحضارة و ألوان الثقافة و كثرة المشاهدات، مما يفتح أكمام الشاعرية، و ينهي الإحساس بالجمال و يقوي ملكة التصوير."[4]

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص: 739.

[2] امرؤ القيس، الديوان، ط2، دار المعرفة بيروت لبنان، 2004، ص:81.

[3] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص: 840.

[4] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي، ج2، ص: 177.

مراحل فن الوصف:

لم يكن الوصف منذ نشأته على هذه الصورة التي نراها اليوم و إنما مر بعدة مراحل من التطور والإضافة، وكل عصر أو فترة زمنية مختلفة كانت تضيق على هذا الفن تطورا جديدا و من المراحل التي مر بها الوصف ما يلي:

1- الوصف النقلي:

يكتشف البدائي العالم بالمقابلة و التشابيه فطبيعة النفس البشرية تلازم الوصف خاصة في طور البداوة فالشاعر يصف الأشياء و ينقلها بالألفاظ، التي تكمن في الدقة و الصدق و الصحة.

"نرى أن الوصف في هذه المرحلة، هو وصف نقلي، يقتصر هم الشاعر فيه على اكتشاف التشابيه، التي تشخص بين مشهدين مختلفين فامرؤ القيس يؤلف الأوصاف و التشابيه، ليبدع بالألفاظ و الصور فرسه تماما، و كذلك فإن وصف النابغة للمتجردة يحفل بشتى الأوصاف و الفضائل التي تنشئ معادلة تتساوى غاية التساوي مع معادلة جمالها. و هكذا ، فإن الوصف النقلي هو المرحلة الأولى من مراحل فن الوصف حيث يتنازع الشاعر مع الظاهرة ليقبض عليها حيز الألفاظ و الصور إنه نسخة مطابقة لنسخة الكون."[1]

و الوصف النقلي هو الذي يرسم فيه الشاعر المنظر دون زيادة أو نقصان و ينقله كما هو في أجزاءه و أوضاعه و هيئاته (أبعاده، شكله، مكانه، ألوانه....) إنه محاكاة. فالوصف يتصدى لمظهر خارجي حسي إذ يعتبر التصوير أقدر على نقل المشاهد، و الوصف أقدر على التعبير عن المناظر والخوالج.

يقول امرؤ القيس:

"له أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وَسَاقَ نَعَامَةٍ وَ صَهْوَةُ غَيرِ قَائِمٍ فَوْقَ مَرْقَبْ."[2]

[1] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص: 6.

[2] امرؤ القيس، الديوان، ص: 59.

"إلا أن الوصف النقلي قد يتخلى عن حلته البدائية، و يغدو مظهرا للترف، حيث يعبث الشاعر برياض أدبيته، تظهر براعته في اكتشاف التشابيه و الصور ذلك نسميه الوصف للوصف، و هو يكثر في البيئات المترفة التي تحول الشعر إلى هواية، و لكن اتفق هذا الوصف مع روح الوصف البدائي، في عنايته بالنقل و التفصيل."[1]

يعتبر هذا الوصف لبعضنا ساذجا ،أو أننا لا نعطه أهمية أما بالنسبة للشاعر البيدائي فهو شديد التعقيد ،فعجزه عن تداول المعاني يصعب عليه رسم المعنى الذي هو في ذهنه بصورة رآها في بصره فالوصف النقلي هو محاولة لتجسيد الظاهرة كما يراها الشاعر كأنه وصف علمي.

2- الوصف المادي:

الوصف يتصدى لمظهر خارجي حسي، و التشبيه المادي لا ينقل مشهدا خارجيا فحسب بل ينقل معها فكرة أو حالة داخلية بمشهد خارجي حسي.

"رأينا أن طرفي الصورة في الوصف النقلي هما ماديان و إن فضيلته تقوم على التقاط الشبه الحسي بين ظاهرتين مختلفتين، و ثمة النزعة المادية تختلف عن النزعة النقلية في أنها لا تقارن أو تشابه بين مشهد و آخر، بل بين فكرة، أو حالة نفسية، من جهة و مشهد حسي أو صورة مادية من جهة أخرى"[2]

و يوضح لنا زهير بن أبي سلمى بقوله:

"رَأيتُ المنايَا خَبَطَ عشواء من تُصِبْ تُمِتْهُ و من تُخطئ يعَمَرْ فَيهْرَمْ."[3]

فلقد مثل الموت و التي هي فكرة مجردة فهي مادية تفهم فهما في ذهن كل شخص و لا ينظر إليها بالبصر بل نعيها بأذهاننا فهنا نجد الشاعر قد انتقل من المعنوية إلى المادية فالوصف المادي و

[1] المصدر السابق ، ص: 8.

[2] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص8.

[3] زهير بن أبي سلمى، الديوان، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2005، ص: 70.

الوصف النقلي يتفقان في المشبه به أما الاختلاف في المشبه فيكون معنويا و ذهنيا، و حسيا في الوصف النقلي يعني أنهما يقومون في أوصافهم على الصحة و الدقة و الصدق في أشعارهم.

"إن النفس البدائية ذات طبيعة مادية، تتداول ما يقع تحت الحواس، و تتفاهم به، بينما يصعب عليها الولوج إلى عالم الذهنيات المجردة.....و لقد تضاعفت هذه النزعة المادية في الشعر الجاهلي بتأثير طبيعة الصحراء التي عايشها و نما فيها. فالبيئة الطبيعية المتغايرة، الكثيرة الألوان و الأصباغ، تستثير الناظر و بالتالي النفس تدفع الإنسان بتغيرها و اختلافها إلى التفكر و المقابلة و الاستنتاج."[1]

علم النفس البدائي هو مادي، يعالج و يفهم ما هو تحت الحواس، و من الصعب الدخول إلى عالم النفس المجرد هذا الميل المادي يتضاعف في الشعر المعاصر. فطبيعة الصحراء التي تنمو فيها، يحولها البشر و اختلافاتهم إلى تأملات و مقابلات و استنتاجات هذه هي حقيقة الوصف المادي في الشعر اليوم، حيث يقارن الشاعر بين الحالة النفسية و المشهد الخارجي ليصبح مشهد كأنه يعاني من تجربة الشاعر و مثيرة للجدل.

"لقد أسلفنا أن الجاهلي يميز بين الكريم و البخيل لكنه يعجز عن تمثيل فكرة الكرم مستقلة دون إطار مادي، فالنابغة إذ ألم بوصف كرم النعمان، شبهه بفيضان الفرات، و كذلك نرى أن طرفة يصف الكرم وحب القرى بقوله:

و لَسْتُ بِجلال التلاع مخافة وَ لَكِنْ مَتَى يَسْتَرفِدُ القومُ أرفُدِ."[2]

شخص الفكرة بمشهد مادي كما أننا لا نفهم المعنى إلى إذا استقرأنا المشهد و استنتجنا من الدلالة.

[1] حاوي غيليا، فن الوصف و نطوره في الشعر العربي، ج1، ص. 68،69.
[2] المصدر نفسه، ص: 70.

"هذا هو واقع الوصف المادي في الشعر الجاهلي، حيث يقابل الشاعر بين حالة وجدانية ومظهر خارجي في الطبيعة، إلا أنه يختلف عن الوصف الوجداني و مظهر خارجيا في الطبيعة. إلا أنه يعبر عن حالة نفسية ذلك أن الشاعر يكتفي، خلاله، بالمقابلة بين الحالة و المشهد عبر النفس بينما يتخطى الشاعر الوجداني المقابلة و يوجد بين الحالة النفسية و المشهد الخارجي فيصبح ذلك المشهد اللامبالي، كأنما يعاني تجربة الشاعر و يتنازع بها."[1]

الوصف العاطفي هو الوصف الذي يتخطى فيه الشاعر حدود الظاهرة أو يلتهمها في محاولة للقدرة أو شرحها... و هذا الوصف هو مساحة الأوصاف النصية و المادية.

3- الوصف الوجداني:

الوصف الوجداني نجد الشاعر يتخطى حدود الظاهرة فتغدو شبيهة برمز أو عنوان لكتاب مكتوم يحوم الشاعر فيه وراء أو حول الظاهرة محاولا تفسيرها فالمشهد ينتقل من حواس الشاعر إلى نفسه و ضميره بصورة إنسانية حية تتحد به أو تنحل فيه، و هذا نوع راق من الوصف يقوم على النزعة الوصفية التي تفيض بذات الشاعر على الأشياء.

"الوصف الوجداني فهو ذلك النوع الذي يتخطى فيه الشاعر حدود الظاهرة، أو يرذل مفهومها العلمي العام، و ينيط بها مفهومها شعريا جديدا، هو امتداد من المفهوم العام أو تأويل له....فالشاعر يتحول من الظاهرة إلى ما وراءها أو ما حولها، محاولا أن يستطيع منها أو أن يفسرها.....هذا النوع من الوصف هو أرقى من الوصف النقلي و المادي جميعا."[2]

الأوصاف العاطفية هي النوع الذي يتجاوز فيه الشعراء حدود الظواهر أو يرفضون مفاهيمهم العلمية العالمية و يمنحهم مفاهيم شعرية جديدة.

[1] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص: 78.
[2] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج7، ص10.

" النزعة النفسية تغلب على الوصف الوجداني، إذ تفيض بذات الشاعر على الأشياء، حتى تطالعنا بأحداق و ملامح إنسانية تضحك و تبكي، تطرب و تشقى، و تناجي و تشتكي، تعاني وطأة الوجود و تغتبط به، فكأنما إنسان متكامل يسوي أو كأن الشاعر يصف ذاته من خلال الأشياء."[1]

من ذلك قول البحتري واصفا للربيع:

أتَاكَ الرّبيعُ الطّلقُ يَختالُ ضَاحِكاً منَ الحُسنِ حتّى كادَ أنْ يَتَكَلّمَا

وَقَد نَبّهَ النّوْرُوزُ في غَلَسِ الدّجَى أوائِلَ وَرْدٍ كُنّ بالأمْسِ نُوَّمَا

يُفَتّقُهَا بَرْدُ النّدَى، فكـــــأنّهُ يَنِثُّ حَديثاً كانَ قَبلُ مُكَتَّمَا[2]

فالشاعر تغلب نزعته النفسية على وصفه الوجداني و التأثير النفسي في وجدان الشاعر من خلال وصفه للمشهد الخارجي فمشاعر تعني أن الشعور هو المحرك الأول لوصفه الوجداني فيفيض شعوره و في حين تراه يضحك و في حين تراه يبكي و يشتكي و كأنه يصفه ذاته من خلال الأشياء يذكرها. فالبحتري في وصفه للربيع يراه كثير الحسن فلم يعد منظرا خارجا على الطبيعة بقدر ما هو حالة داخلية في نفسه فلقد عبر بها شعر به فالمشهد توحد مع نفسية الشاعر في وجدانه فالشاعر الوجداني يتولى الاشياء بأعصابه و يخلع عليها من ضميره في وصفه لتلك المناظر.

" والشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الأولى يصف نفس قائله و شعوره حتى إن الشاعر القديم كان إذا عرض البحث موضوعي واقعي، كوصف الصيد و الحرب أو كالحكمة و الرثاء، لونه بشعوره هو فانقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعا وجدانيا."[3]

الشعر الجاهلي في الغالب عاطفي و لا تعتقد أن الإبداع في الأوصاف العاطفية بشكل متبادل ويتطور من الشعور إلى الخيال.

---

[1] المصدر نفسه، ص: 12،13.

[2] البحتري، الديوان، ت: حسن كامل الصيرفي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1963، المجلد الأول، ص: 15.

[3] فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار العلم للملايين –بيروت– لبنان، 1981، ص: 77.

"و لعل هذه المضاعفات الوجدانية التي يحفل بها الوصف الوجداني توضح لنا الفرق بينه و بين الوصف النقلي. فبينما يقف الشاعر خلال الأول بحدقته، يراقب الأشياء و يقرر ما يبصره من شكلها و أوصافها تقريرا شائعا علميا، ينصرف الثاني إلى تأويل الظاهرة بعد أن تتولاها نفسه و تتحد بها."[1]

إن الوصف النقلي يجسد الشكل و يكمن نقله بدقته و صحة تشابهه بينما الوصف الوجدني فيعنى بالمعنى وراءه و تكمن في نزعته النفسية.

[1] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي ج1، ص: 17.

المبحث الثاني: خصائص الوصف عند شعراء المشرق عبر العصور

1. الوصف في العصر الجاهلي
2. الوصف في عصر صدر الإسلام
3. الوصف في العصر الأموي
4. الوصف في العصر العباسي

أ- الموضوع

ب- اللغة

ج – الصورة الشعرية.

1- الوصف في العصر الجاهلي:

العصر الجاهلي هو ذلك العصر الذي يصور لنا الحياة بمختلف أشكالها و ألوانها في تلك الفترة حيث رسم لنا تفاصيل حياة الجاهلين من جميع نواحيها، فالوصف في هذا العصر منصرف إلى مظاهر الطبيعة الخارجية سواء كانت هادئة كالصحراء و الرمال و الجبال و ما شاكل ذلك، أو حية متحركة كالإبل و الخيل التي كان الجاهليون يركبونها و الغزلان و النعامة و البقر الوحشية.

"إن الشعر الجاهلي، سجل أو شريط واضح جلي، تظهر فيه معالم الحياة الجاهلية، كأنها تجري في حقيقة الواقع، و ليست توصف في الحروف و الألفاظ، عبر الذهن فهو يضعنا وجها لوجه أمام معالمها كأننا نعيش في قلبها، و لسنا نتخيلها تخيلا، أو نفترضها افتراضا يكاد الجاهلي، لا يدع حيوانا أو مشهدا دون أن يصوره."[1]

يسجل الشعر الحالي أول الأشرطة الواضحة التي يبدو فيها وجه حياة الجاهل و كأنه يسير في الواقع الحقيقي بدلا من وصفه بالكلمات في العقل لأنه يجلبنا وجها لوجه، يبدو الأمر كما لو أننا نعيش في عقلها و لا نتخيلها، ولا يكاد الشخص الجاهل أن ينادي حيوانا أو مشهد دون تصويره.

"إذا كانت شعوب الأرض كلها تعد الشعر فنا من الفنون التي تباهي بها كالرسم و النحت والموسيقا، فإن عرب الجاهلية كانوا يعدون الفنون كلها، فيه اجتمعت ثقافتهم، وإليه تناهت عبقريتهم، و به وحده كان الجاهليون يصوروا هذا الواقع أدق تصوير."[2]

إذا كان البشر كلهم يرون أن الشعر على أنه الفنان الفني الذي يتباهى بالرسم و و النحت و الموسيقى، فإن عرب الجاهلية يرون أنه كل فن تجمعهم الثقافي وصل إلى عبقريتهم بالنسبة له، فهم عبقريتهم و هذه الحقيقة هي أدق تصوير. فقد وصف الفرس كثير أما "امرؤ القيس فقد وصفها في مواقع عدة من شعره في المعلقة و غيرها فرسمها في ضخامتها و قوتها، و صور ظهرها و خاصرتها

[1] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص22-23.

[2] طليمات غازي، الأدب الجاهلي: قضاياه، أغراضه، أعلامه فنونه، ص 53.

وساقيها و ذنبها، و اكتفى بالخطوط العريضة الكبيرة كما فعل طرفة بناقته، و لكنه لم يشبه أجزاءها بالقصور و الدور والسفن والقناطر، و إنما عمد إلى الظبي و النعامة و الثعلب و الذئب والصخر.... واستعان بالتشبيهات على عرض صورة للمسافة و الحيز و اللون لعله يقربنا من أوصاف فرسه، و نفخ في الصورة بروح الحركة و النشاط بما يستلزمه الصيد و الطراد فقال"[1]:

" وَقَدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مُكِرٍّ مُفِرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَــتعاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[2]

فالشاعر ها هنا يصف الفرس دليل على رهفة حسه ومحبته له فهو مرافقه في كل أحواله فاختار له الضخامة و القوة و السرعة.

"و جعلوا من الطبيعة الحية المتحركة عالم الحيوان في الصحراء، و حشروا في هذا القسم صفة الحيوان المأنوس كالإبل و الخيل و الشتاء و صفة الحيوان الوحشي كالسباع و الضواري و الأفاعي إلى جانب الحشرات و الطير، حتى اجتمع لديهم مما جمعوا عالم متنوع زاخر، فيه ما في الواقع من حركة و نشاط، و ما في حياتهم من فطرية و التصاق بالطبيعة."[3]

إذ يقول امرؤ القيس في وصفه لليل:

"أَلاَ أَيُها اللَيّلُ الطَوِيلُ ألا أنجَلي بِصُبح، وَ مَا الإِصْبَاحُ مِنك بِأمثَلِ."[4]

فهو يصف الفلذات الوجدانية التي رسمت في خياله فمعاناته لطول الليل فأروى في نفسه شعورا حادا فشبهه بموج البحر فترجمه إلى صورة جسد شعوره بألفاظ من خلال استخدامه للصور من واقع بيئته.

و في الشعر الجاهلي عدة خصائص تميزه و هي كالآتي:

---

[1] لجنة من أدباء الأقطار العربية، الوصف، دار المعارف، د.ط، د.س، ص: 16، 17.

[2] امرئ القيس، الديوان، اعتنى به و شرحه عبد الرحمان المصطاوي، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2004، ص 52،53.

[3] طليمات غازي، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص: 65.

[4] المصدر السابق، ص: 49.

أبرز هذه الخصائص أن الوصف لم يكن غرضا متفردا في الشعر الجاهلي.

"أبرز هذه الخصائص أن الوصف لم يكن غرضا متفردا في الشعر الجاهلي. فأنت لا تجد فيه قصيدة، وقفها شاعر على وصف روضة، و أخرى قصرت على صفة ثور. و إنما تجد الوصف ركنا من أركان القصيدة كالحجر في البناء، أو حلية تجمل الفكرة كالسوار في المعصم"[1].

و أبرز هذه الملامح أن الوصف ليس الغرض الوحيد من الشعر الجاهلي، حيث لن تجد فيه قصيدة يتوقف فيها الشاعر عن وصفها لرياض الأطفال، و تقتصر على أوصاف الثيران، سوف نجد الوصف أحد أركان الشعر مثل الأحجار في الأبنية أو الحلي التي تزين الأفكار مثل الأساور على المعصم.

"يلتزمون الصدق في أوصافهم و الحقيقة في أوضح صورهم،و ليس معنى هذا أن الوصف يتجافى مع الخيال، فهو يعتمد على الخيال إلى حد بعيد، إذ الصدق لاينا في الخيال،"[2] عنترة حين يقول مثلا:

يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ

مَا زِلْتُ أَرْمِيهم بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ ولَبَانِهِ حَتَى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

فَازْوَرَّ من وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ وشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ.

و كَانَ يَدْرِي مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى ولكَانَ لَوْ عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمِي "[3]

ففي شعره هذا دليل على صدقه في تصوير للرماح فقوة الشعور تدفعه إلى التعبير عن حسه.

[1] طليمات غازي، الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه

[2] عبد العظيم علي قناوي، الوصف في الشعر العربي، ج1، ص: 344.

[3] عنترة ابن شداد، الديوان: د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص 77.

"الواقعية التي ترتدي أكثر من لبوس، و أبرز مظاهرها النقل الأمين يتحرج من البيئة، فإن كان الشاعر أعرابيا موغلا في البداوة جاء بصورة جافية، فلم يتحرج من تشبيه وجوه أصحابه بوجوه الذئاب، أو شعر محبوبته الأسود المرسل بحياة سود طوال، قال المزرد بن ضرار:

وأَسْحَمَ رَيَّانِ القُرُونِ كأَنَّهُ أَسَاوِدُ رَمَّانَ السِّبَاطُ الأَطَاوِلُ "[1]

الحقيقة في أوضح صورها، لا يعني أن الوصف يتعارض مع الخيال، لأنه يعتمد كثيرا على الخيال، الواقعية الأكثر ثراء من الملابس و أبرز مظاهر هذا التسليم الصادق هو الإخراج من البيئة.

"تحقق مما أسلفنا أن الوصف الجاهلي تأثر و انطبع بخصائص النفسية البدائية، فضلا عن الطبيعة و المجتمع البدائيين، لقد كان انعكاسا لها في الخارج يتخذ منها مواضيع وصفة و يفيد تشابيه، و صوره كما انطبع بهما".[2]

2- الوصف في عصر صدر الإسلام:

دخل العرب في طور جديد حين ظهر الإسلام فصار الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية إلا أنه قد قل و أصابه نوع من الركود في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم و ذلك لأن العرب قد أعجبو بالقرأن الكريم مما دفعهم للانشغال بالعقيدة الإسلامية.

" فالشعر جزء من حياة العرب، و وجودهم، و لا يمكن أن يهجروه في أي حال من الأحوال كما لا يمكن أن يدعو الرسول صلى الله عليه و سلم إلى مخالفة الطبيعة العربية و الإنسانية لكون الشعر مظهرا من مظاهر الإبداع الفكري الإنساني و هو العربي يعجب بالكلام الفصيح، و يهتز للشعر الجميل..... لقد ذكر أنه صلى الله عليه و سلم أعجب بكلام بليغ في قصة و قد تميم بقوله: إن من البيان لسحرا، و إن من الشعر لحكمة أو حكما."[3]

---

[1] طليمات غازي، الأدب الجاهلي: قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، ص: 105.

[2] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص : 109.

[3] الصفار ابتسام مرهون، الأمالي في الأدب الإسلامي، د.ط، دار المنهاج، عمان-الأردن 2005، ص: 47، 48.

الشعر جزء من حياة العرب و وجودهم و لا يمكنهم التخلي عنه بأي شكل من الأشكال، لأن الشعر هو تجسيد للفكر البشري إبداع في قصته يستيقظ تميم ببلاغة فيقول: البلاغة سحر و الشعر حكمة.

"وأما وصف معركة أحد فقد أجاد فيها كعب بن مالك أيما أجادة حين وصف جيوش المشركين بأنهم كالحجر في كثرتهم و تدافعهم و أن جيش المسلمين كان كبير بقوة المسلمين كان كبيرا بقوة المقاتلين (لا عددهم فقد ذكر أنهم كانوا سبعمائة) لقد تجمع فيه خيار الناس و إشرافهم، و أنهم حتى في دعوتهم كانوا ثابتي العزيمة كأنهم أسود:

فَجِئنَا إلَى مَوْجٍ مِنْ الْبَحْرِ وَسْطَهُ أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّـــــعُ

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصـــــيَّب ثَلَاثُ مِئِينٍ إنْ كَثرْنَا وَأَرْبَـــــعُ

ورَاحُوا سِرَاعًا مُوجِفِينَ كَأَنّـــهُمْ جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَـــعُ

وَرُحْنَا وَأُخْرَانَا بِطَاءٌ كَأَنَّـــــنَا أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بِبِيشَةَ ظُلّـــــعُ[1]"

وصف الشاعر الجيش المشترك بأنه يشبه البحر في العدد و الدفاع، وكان جيش المسلمين كبيرا و قويا، فاستمر الشعر مواكبا الأحداث في عصر الاسلام كان الشعر مصاحبا المجاهدين في المعارك التي خاضها المسلمون فلقد خاضها المسلمون فلقد صور الشاعر معاناتهم كما أنه ينظم الأشعار لتحفيز و رفع معنوياتهم للجهاد في سبيل الله فلقد أدى الشاعر الرسالة الإسلامية.

[1] الصفار ابتسام هرمون، الأمالي في الأدب الإسلامي، 73.

و يقول عروة بن زيد الخيل مسجلا انتصارات المثنى بن حارثة الشيباني في العراق، و ما حققه من نصر جيوش الفرس التي ولت هاربة:

وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ إِذْ بِالنُّخَيْلَةِ قَتْلَى جُنْدِ مِهْـرَانَا

أَيَّامٌ سَارَ اَلْمُثَنَّى بِالْجُنُودِ لَهُمْ فَقُتِلَ اَلْقَوْمُ مِنْ رَجُلٍ وَرَكِبـــانَا .

سَمَا لِمِهْرَانَ وَالْجَيْشِ الَّذِي مَعَهُ حَتَّى أَبَادَهُمُ مثنى ووحـــــــدانا.

ما أن رأينا أميراً بالعراقِ مَضى مثلَ المثنى الذي مِنْ الِ شَيْبانا."[1]

" و هناك صورا أخرى تتعلق بشعر الفتوحات الإسلامية و هي التي قيلت في الوصف، و أهميتها متأنية من أنها تمثل مادة جديدة أضيفت إلى فن الوصف الذي برع فيه شعراء ما قبل الإسلام وقامت قصائدهم عليه..... و مما يضاف إلى عناصر الوصف ما وجد من أشعار في وصف البحر في بداية عصر الفتوح الإسلامية ..... و يعد أول عابر و قاطع له هو صاحب الأجر و الثواب عند الله تعالى، لأنه يشجع الآخرين و يسهم في القضاء على أعدائه:

أَمْضُو فَإِنَّ اَلْبَحْرَ بَحْرَ مَأْمُورٍ وَالْأَوَّلَ اَلْقَاطِعِ مِنْكُمْ مَأْجُورٌ

قَدْ خَابَ كِسْرَى وَأَبُوهُ سَابُورْ مَا تَفْعَلُونَ وَالْحَدِيثُ مَأْثُورٌ."[2]

و هناك صور اخرى تتعلق بشعر الفتوحات الإسلامية، مذكورة في الوصف، و أهميتها سرية فهي تمثل مادة جديدة تضاف الى الفن الوصفي الذي برع فيه الشعراء السابقون و يقوم شعرهم على الثواب و الرضا، التوبة يكون المالك عند الله لا يشجع الآخرين و يساعد على إبادة أعدائه.

" إن صورة الصحراء لازالت مالكة نفس الشاعر، فالأرض التي اصفر نباتها شتاء لا يسميه الشاعر إلا الشيح، وهو من النباتات الصحراوية و لا مكان له في المناطق الجبلية الباردة، و يرى أن البرد الشديد والثلج سيحولان دون النصر على الأعداء، بل إنه يبالغ أكثر فيرى أن عدوهم لا يقاتل

[1] الصفار ابتسام مرهون، الأمالي في الأدب الإسلامي، ص 191.

[2] المصدر نفسه، ص: 195.

و لا يغلب، لأنه الشتاء و البرد و ليس البشير..... و هذا أحد الفاتحين يصف برودة الجو في مرو:

وَرَأَى بِمْرُو اَلشَّاهْجَاتْ تَنَكَّرَتْ أَرْضٌ تُتَابِعُ ثَلْجَهَا اَلْمَذْرُورَة .

إِذَا لَا تَرَى ذَابِرَة مَشْهُورَةً إِلَّا تَخَال كَأَنَّهُ مَقْرُورْ

كِلْتَا يَدَيْهِ لَا تُزَايِل ثَوْبُهُ كُلَّ اَلشِّتَاءِ كَأَنَّهُ مَأْمُورٌ ."[1]

ما زالت صور الصحراء في سيد روح الشاعر و هذه الأرض التي تتحول فيها النباتات إلى اللون الأصفر في الشتاء يسميها الشاعر و هو من نباتات الصحراء و ليس لها مكان في الجبال الباردة فهو يرى أعدائهم لا يقهرون لأن الشتاء بارد، و ليس البشر.

" وكان من أبرز الطوابع التي طبعت المضمون الشعري صدور الشعر عن روح الجماعة الإسلامية، و عن وجدانها الجماعي، الذي استنفذ القوميات المحلية و العصبيات القبلية و صاغها صياغة جديدة في إطار جديد كما صدر الشعر عن المثل الإسلامية الرفيعة.... كذلك طبع الشعر بمثل ما طبعت به النفوس المؤمنة من المشاعر الدينية، و الأحاسيس الروحية السامية، التي تجلت في الإيمان العميق بالله و الحرص على الفوز بما وعد."[2]

ومن أبرز ما يظهر في المحتوى الشعري، إطلاق قصائد عن روح الجماعة الإسلامية و ضميرها، و من أرهق شعارات الشعوب و القبائل المحلية و عبر بشكل جديد ضمن إطار جديد الإيمان بالله.

3- الوصف في العصر الأموي:

يعتبر العصر الأموي من أهم العصور التي ازدهر بها الأدب العربي بشكل عام، و يظهر ذلك في الموروث الشعري الخاص بهذا العصر الذي كان بقمة تطوره.

[1] الصفار ابتسام مرهون، الأمالي في الأدب الإسلامي، ص 192-194.

[2] القاضي النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلامي، د."، الدار القومية للنشر، د.س، ص : 287.

"ازدهر الأدب العربي في عصر بني أمية، شعره و نثره على السواء، و تعددت فنونه و شمله التجديد في كل مظهر من مظاهره، و استرعت النهضة التي بلغها آنذاك أنظار النقاد و الدارسين".[1]

ازدهر الأدب العربي في العصرين الأموي، سواء في الشعر أو النثر، و كان فنه متعددا، و غطت كل مظاهر تعبيره بالتجديد و هو إحياء لفت انتباه النقاد و العلماء في ذلك الوقت.

"اشتدت عناية الأمويين، خلفاء و أمراء و ولاة و زعماء، و رؤساء، بالشعر و عظم تقديرهم للشعراء، و خصوهم بجزيل العطاء، و عظم الصلاة، و عقدوا المجالس لإنشاده و سماعه، و جلسوا في الندوات المفتوحة لسماع المحاورات بين الأدباء و الشعراء حوله ..... و لا شك أن الشعر قد ازدهر في هذا العصر ازدهارا كبيرا"[2]

فبالنسبة للشعر، فإن تقديرهم للشعراء كبير فهم يميزونهم بفنان كبير و اتصالات واسعة ويعقدون اجتماعات للغناء و الاستماع إليه و يجلسون في ندوات مفتوحة، و يستمعون إلى حوار الكتاب و الشعراء.

" إن واقع العصر الأموي كما ألمنا به، أثر على الوصف بوجهين متناقضين فالغنى و النعيم وفرا للشاعر تأملا و استقرار يوافقان هواية الوصف الترفي الذي يعبر عن نفس خلية، يروق لها أن تقلد الطبيعة باللفظ، و قد كان من المتوقع أن ينشأ مثل هذا الوصف الترفي في العصر الأموي لما فاض عليه من نعيم باذخ و انصراف إلى المتعة و اللهو، إلا أن تعسر الخلافات السياسية و اندلاع الثورات و اشتداد الحاجة إلى الشعر السياسي، ذلك أضعف من اهتمام الأموي بالتعبير عن واقع بيئته الجديدة"[3] .

لا شك أن الشعر ازدهر في عصر الرخاء العظيم فواقع العصر الأموي، يؤثر على تصوير وجهين متناقضين، توفر الوفرة و النعيم للشاعر و التأمل و الاستقرار بما يتفق مع هوايات أوقات

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج1، ص: 77.
[2] المصدر نفسه، ص: 79.
[3] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص: 117، 118.

الفراغ، و التعبير عن الطبيعة في نفس الأسلوب الذي يحب التقليد و النمو المتوقع الذي من شأنه أن يخلق مثل هذه الرفاهية الوصفية.

لم يتصدى الأموي لوصف الناقة وصفا مباشرا، بل اعترض به من خلال قصيدة طويلة ذات أغراض كثيرة، و هو إذ يصف الناقة، يقول إنها عرمس ، شديدة، تجتاز المسافات الشاسعة، دون التواء أو أنين، و هي لسرعتها تكاد أن تقطع أنفاس النياق.... نرى أن هذا الوصف، لا يمتاز بأنه ميزة عن الوصف الجاهلي، و هو يتردد بمعانيه و صوره، و يجاري أسلوبه في النقل و المادية والاستطراد."[1]

لا يذكر الأمويين وصف الإبل مباشرة، بل يقابله بقصيدة طويلة و متعددة الاستخدامات وتكاد أنفاسنا ترى أن هذا الوصف لا يتمايز كميزة مقارنة مع الجاهلي المترددة في معناه و صورته ويتعارض مع أسلوبه في التواصل و المادية و الاستطراد.

"و هكذا فإن المطلع على الوصف الأموي لا يشعر بالتطور الزمني الذي يفصل بينه و بين العصر الجاهلي، كما أنه لا يشعر قط بتطور الحضارة و البيئة حواليه. فهو شعر ذو طابع و نفسية بدائيين."[2]

و هكذا فإن الشخص المطلع على وصف الأمويين لن يشعر بالتطور الزمني الذي يفصله عن العصر الجاهلي و كأنه لم يشعر قط بتطور الحضارة و محيطها.

"أما بيئة الحجاز، فقد اهتم أهلها بالشعر، و عنوا به و بنقده عناية شديدة فكانت أن شاع التغني به، و ظهرت فنون جديدة منه كالغزل القصصي، و الغزل العذري، و قد أغرق الخلفاء على شباب الحجاز المال و العطاء، ليصرفوهم عن المطالبة بالخلافة، فذاع الترف، و انتشر النعيم و كثر اللهو."[3]

[1] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص: 119.
[2] المصدر نفسه، ص: 121.
[3] عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج1، ص: 82.

انتشرت البيئة التي يقع فيها الحجاز، و تأكيد أهلها على الشعر و نقده، على نطاق واسع، و ظهرت فنون جديدة مثل الغزل العذري و القصصي.....

كما كانت تغلب على الشاعر النزعة الالتزامية فكان ملتزم بالدفاع عن عقيدة سياسية أو دينية فيكرس لها شعره جميعا، كما أن الانقسام السياسي أيقظ العصبيات القديمة و ربما عمد بعض الشعراء الأمويين إلى إذكائها و إحيائها من جديد ليفيد و من الأحقاد و خلف الثأر في الدفاع عن ملكهم كما أنه يعد عصر الأحزاب الدينية (كالمرجئة، و الجبرية، و القدرية) و يعد أيضا عصر الأحزاب السياسية (كالشيعة و الأموية و الخوارج و الزبيرية) فالعصر الأموي عرف بشعر النقائض و من أشهر شعراء جرير، الأخطل، الفرزدق.

"إن الوصف في الشعر الأموي و هو منعزل، ظل يعيش في خاطر الصحراء بعيدا عن الرياض و الجنائن و أنه ظل يتولى المواضيع و المعاني و الصور القديمة يتطور بها بعض التطور و يخلع عليها الجدة من نفسيته... نتحقق أن الوصف كان ينزع إلى التجريد و الصور المعنوية الوجدانية، تلك الصفات التي ستغلب على الوصف في الشعر العباسي."[1]

فلقد عاد الشعر الأموي أشبه بالشعر الجاهلي في أساليبه و أغراضه، كما انتقى الشاعر الأموي مفرداته من المعاجم الإسلامية كما التزام بالوزن و القافية و قوة التركيب في بناء القصيدة و ذلك يعود إلى الشعر الجاهلي لما فيه من قوة و متانة.

4- الوصف في العصر العباسي:

لقد شغل الوصف في الأدب الجاهلي والإسلامي في معظم قصائد الشعراء في تصويرهم لمظاهر الطبيعة الحية و الجامدة، غير أن الشعراء العباسين اهتموا بتصوير الجانب المادي من الحضارة الجديدة، و تعددت الموضوعات الوصفية فشملت جميع مظاهر الحياة عند العباسين، حتى أننا نرى الشعراء يسجلون الحياة داخل البيوت و القصور و ما فيها من وسائل اللهو و التسلية.

[1] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص: 164.

" وهذا العصر بعهديه هو أزهى عصور الإسلام، و صفحاته المشرقة أنضع الصفحات في التاريخ السياسي و الأدبي للعرب... و في هذا العصر نبغت الفنون الإسلامية، و ازدهرت الآداب العربية و ترجمت الثقافات الأجنبية، و قامت المدارس و الجامعات في كل مكان، تثقف العقول وتهذب النفوس، و تحض على المعرفة."[1]

كانت هذه الحقبة في عهديها من ألمع شعراء الإسلام و كان فضلها المجيد أبرز ملامح التاريخ السياسي و الأدب العربي.

" العباسيون، فهم الجيل الذي اختمر بمعطيات الحضارة الجديدة، و قدر له التطور الزمني الذي جعله يسفيها و يتمثلها، ذلك يعني أن براعم التجديد التي ازدهرت في العصر الأموي، لم يعقد و تنضج إلا في العصر العباسي، فنعم أبناؤه بالاستقرار و انتقلت فضيلة من بيئتهم إلى نفوسهم فاستقر تفكيرهم و تواصلت مراحله.... و لا بد لنا من الالتفات إلى الشعوبية التي طفرت في مطلع هذا العصر، و تأثيرها العظيم في تطور الشعر العباسي، عامة، و الوصفي منه خاصة."[2]

يعتبر العباسيون جيلا يتغمر ببيانات من حضارة جديدة و يقدرون أن تطور العصر يجعلها مضللو وتمثلها، مما يعني أن التجديد الناشئ الذي ازدهر في العصر الأموي لم يجلس و ينضج بعد العصر العباسي، صعود الشعوبية في بداية هذه الحقبة و تأثيرها الهائل في تطور الشعر العباسي و خاصة الشعر الوصفي.

" وقد أجاد الشعراء العباسيون في الأوصاف إجادة بالغة، و جادوا فيها بالتشبيه المفرط البعيد، على حين كان من قبلهم يجرون في أوصافهم على الصدق و يسيرون في ظل الحقائق القريبة. و هذا مذهب من مذاهب العرب في أن يصفوا الشيء على ما هو و على ما شوهد من غير اعتماد

[1] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج2، ط1، دار الشرق الجديد بيروت، 1960، ص: 3،4.
[2] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج2، ص:6.

لإغراب و الإبداع، وأشهر قصائد الوصف سينية البحتري التي ليس للعرب مثلها كما يقول ابن المعتز المعتز، و برع ابن الرومي في التصوير."[1]

كان شعراء السلالة العباسية بارعين جدا في الوصف و استخدموا الاستعارات التي كانت بعيدة جدا، يركضون أمامهم لوصف الصدق، و يسيرون في ظل الاقتراب من الحقيقة، احتضان الغرابة و الإبداع.

"و كان ابن المعتز شاعر الطبيعة و وصافها الممتاز، و له كثير من الآثار في وصف شتى مظاهرها من رياض و أزهار و قصور و طيور و برك و ميادين و من نجوم و كواكب و أفلاك و سوى ذلك شتى أوصاف الطبيعة، كان يعيش مع الطبيعة عيشة الهائم المتبتل و الفنان الشادي و المصور المفتون، منحها شعوره و شعره و هيامه و فنه أكثر من أي شاعر آخر سبقه و أولع بتصوير كثير من مظاهرها المتعددة."[2]

و انظر إليه يصف الروض و الأزهار و الطبيعة:

" وَالرَّوْضُ مَعْسُولٌ بِلَيْلِ مِصْرَ كَأَنَّهُ دَرَاهِمُ فِي مَنْشَرِ

أَوْ كَتَفْسِيرِ مُصْحَفٍ مُفَسِّرٍ وَالشَّمْسِ فِي أَصِحَّاءِ جَوٍّ أَخْضَرَ .

كَدَمْعَةٍ جَارِيَةٍ فِي مَحْجَرٍ تُسْقَى عَقَّار كَالسِّرَاجِ اَلْأَزْهَر

مُدَامَهْ تَعْقِرَ إِنَّ لَمْ تَعْقِر تُدِيرُهَا كَفٌّ غِرٍّ أُحَوّرُ

ذِي طُرَّةْ عَاطِرَةً كَالْعَنْبَرِ وَمَبْسِم يَكْشِفُهُ عَنْ جَوْهَرٍ"[3]

[1] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي، ج2، ص: 170.

[2] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج2، ص: 178.

[3] ابن المعتز، الديوان، دار صادر، بيروت، 908، ص: 244.

"وصف العباسيون الخيل فأوغلو في رسمها كذلك، و أبو نواس جعلها مطية إلى الصيد ليس غير.و أما أبو تمام فقد أكثر من وصفها فجعلها شديدة الحركة و الطيش كأنها خالطها مس من جنون، أو كأنها شربت خمرا فهي سكرى:

كَأَنَّمَا خَامَرَهُ أُولِقْ أَوْ غَازَلَتْ هَامِيَةً اَلْخَنْدَرِيسْ

عُودُهُ اَلْحَاسِدُ بِخَلَّابَة وَرَفرَفَتْ خَوْفًا عَلَيْهِ اَلنَّفْوْ"[1]

وصف العباسيون الخيول، و ذهبوا بعيدا في رسمها و جعلها أبو نواس جيلا للصيد فقط، أما أبو تمام فقد خسر أكثر من وصفه، فجعلها شديد الحركة و التهور كأنها اختلطتا بلمسة جنون أو شربت الخمر لأنها كانت في حالة سكر.

"وابن المعتز حين وصف الأسد فعل مثل ذلك فصوره مخفيا يهزم الجيش و يجر كل ليلة فريسته إلى أولاده يفرحون بها، و هو شجاع جرئ، يحسب الألف واحد، يرهب الدنيا زئيره فما يستطيع أحد أن يعدو على الأرض أو يسري فيها إذا كان هناك."[2]و في قول ابن المعتز:

"يزَعْزِعَ أَحْشَاءَ اَلْبِلَادِ زَئِيرَهُ وَيُذْهِلُ أَبْطَالُ اَلرِّجَالِ مِنْ اَلذُّعْرِ

إِذَا ضَمَّ قِرْنًا بيْنَ كَفَّيْهِ خَلَّتُهُ يعَانِي عَرُوسًا فِي غَلَائِلِهَا اَلْخُمْرَ."[3]

و كذلك فعل ابن المعتز في وصفه للأسد، فكانت صورة مخفية و هو يهزم الجيش و يجر فريسته كل ليلة إلى أبنائه الذين يفرحون به.

"و لعل أهم خاصة من خصائص الوصف في الشعر العباسي هي خاصته التعقيد فالشاعر لم يعد يصيغ المعاني البسيطة المتفردة، و الصور القريبة المتناول، و التشابيه الدنية و اليسيرة، بل نراه يمازح

[1] لجنة أدباء الأقطار العربية، الوصف، ص: 55.

[2] المصدر السابق، ص: 58.

[3] ابن معتز، الديوان: دار صادر، بيروت، د.س، ص: 216.

المعاني، ويخادع في سترها وطلائلها ممتزجا في ذلك..... يتبين لنا أن الوصف العباسي تميز بخصائص جديدة في قدرة الشاعر على التجريد و تداول المعاني كصور."[1]

ولعل أهم خاصية من خصائص الوصف في الشعر العباسي هي خاصية التعقيد فالشاعر لم يعد يصيغ المعاني البسيطة المتفردة و الصور القريبة المتناول و التشابيه الدنية و اليسيرة بل نراه يمازج المعاني ويخادع في سترها و طلاءها ممتزجا في ذلك يتبين لنا أن الوصف العباسي تميز بخصائص جديدة في قدرة الشاعر على التجريد و تداول المعاني كصور.

أ-الموضوع :

تنوعت موضوعات الشعر العربي و إذا بحثنا عن المواضيع التي طرق إليها الشعراء نجد أنها مواضيع تنوعت بتنوع الحياة و البيئة فالشعراء من وقف على آثار الديار فتأملها و أبدع في وصفها فالوصف غرض من أغراض الشعر القديمة حيث واكب الإبداع الشعري منذ الجاهلية و لا يزال.

"الشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الأولى، يصف نفس قائلة و شعوره، حتى إن الشاعر القديم كان إذ عرض "لبحث موضوعي واقعي"، كوصف الصيد و الحرب أو كالحكمة و الرثاء، لونه بشعوره هو فانقلب الموضوع في شعره وجدانيا."[2]

كان الشعر قبل الإسلام عاطفيا من الدرجة الأولى، يصف روح الراوي و مشاعره لدرجة أن الشعراء القدامى كانوا يلونون وفقا لمشاعرهم إذا قدموا بحثا موضوعيا و واقعيا مثل أوصاف الصيد والحرب، أو كالحكمة و عاطفة فيكون الموضوع عاطفي في شعره.

[1] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج2، ص: 81.
[2] فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ص: 77.

قال في وصف الحرب و سوء عاقبتها:

" اَلرَّبُّ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فِـــتيَة تَبْدُو بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولْ .

حَتَّى إِذَا حَمِيَتْ وَشَبَّ ضَرَامَهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرِ ذَاتِ حَلِيلٍ .

شَمْطَاء جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتقْـــــــبِيلِ . "[1]

"لا شك أن الشاعر يستمد مواضيعه من طبيعة بيئته، يتأثر بها، و يؤثر فيها محاولا أبدا أن يعبر عن تأثيره و تأثره، أضف إلى ذلك أن البدائي، بطبيعة نفسيته تميل به نزعة التقليد إلى نقل ما يراه، حتى كأن شعره لوحات منقولة بدقة و براعة عن البيئة التي يعايشها...خاصة تلك المظاهر التي كان لها تأثير مباشر في حياته، كالظل و الصحراء و البرد و الليل أو المطر فضلا عن الرياض."[2]

مما لا شك فيه أن موضوع الشاعر مشتق من طبيعة بيئته و يتأثر بها، ولا يحاولا أبد التعبير عن تأثيره و هي تؤثر بشكل مباشر على حياته كالثلج و الصحراء و البرد و الليل و المطر والرياض ومن وصفه للطبيعة الجامدة للآثار، التي أخذ فيها قدرا كبيرا من الشعر القديم.

"و لا بد لنا من التمثل بنموذج على وصف الطلل، يجتمع بالمعاني الهامة التي ترددت فيه ولعل امرؤ القيس، تفوق في ذلك، على سائر الشعراء، فهو كما يزعمون، أول من وقف و استوقف و بكى و استبكى، لذلك كان جديرا بنا أن نتمثل بنموذج من شعره في وصف الطل، مقابلين في الآذان ذاته، بينه و بين سائر الشعراء الذين تناولوا الموضوع نفسه"[3] قال امرؤ القيس في معلقته الشهيرة:

" قفَا نبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقَطِ اَللَّوِىْ بيْنَ اَلدَّخِيلْ فُحُومْلْ .

فتُوضَع فَالْمَقْرَاَة لَمْ يَعِفْ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ."[4]

---

[1] امرؤ القيس، الديوان ، ص: 149.

[2] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص22، 23.

[3] المصدر نفسه، ص: 27، 28.

[4] امرؤ القيس، الديوان، ص: 21، 22.

" أما المواضيع فقد بدت، خاصة في تردده على وصف الناقة و الفرس و الصحراء و ما إلى ذلك، مما يحيط به أو يشاركه في حياته. و لو عايش الجاهلي بيئة تخالف بيئته، لاختلفت مواضيع شعره بما يوافق طبيعة تلك البيئة، فلهذا فإننا نكاد نشهد أن المعاني و المواضيع التي أسرفت بها الجاهليون، قلما شخصت في الآثار الشعرية لدى الأمم الأخرى، و لعلنا لا نغالي إذ أكدنا أن تلك المواضيع توشك أن تقتصر على الأدب العربي من دون سواه."[1]

أما بالنسبة للموضوعات فيبدو أن لها حجما خاصا عند وصف الإبل و الخيول و الصحاري و ما إلى ذلك التي تحيط به أو تشاركه حياته.

" وقد وصف شعراء الجاهلية كل ما وقعت عليه أعينهم من شتى ألوان بيئتهم التي عاشوا فيها و مظاهر الحياة التي ألفوها في هذه البيئة، وكان امرؤ القيس و أبو دؤاد و طفيل الغنوي والنابغة الجعدي من وصاف الخيل كما كان طرفة وأووس بن حجر وكعب ابن زهير والشماخ من وصاف الإبل و كان عبيد الأبرص مجيدا في وصف المطر، و استمر الأمر كذلك في العصر الإسلامي، وانفرد بعض الشعراء بالتفوق في بعض الأوصاف، فكان الشماخ من أوصف الناس للقوس و الخمر، وكان ذو الرمة أوصف الناس لرمل و هاجرة وفراة و قراد و حية."[2]

" ذكرنا أن بيئة الشاعر الأموي اختلفت غاية الاختلاف عن بيئة الشاعر الجاهلي كما أنه نعم بحضارة ارتقت غاية الرقي عن واقع الحضارة الجاهلية... و لقد أغمض الشاعر الأموي عينيه عن الحضارة الجديدة، وجعل يلتفت خلال ذهنه إلى البيئة الجاهلية الصحراوية، متحدثا عن الطلل واصف الصحراء و المفازات و الحيوانات البرية من دون سواها، وهكذا ظل يعيش في بيئة تقليدية ذهنية راذلا البيئة الطبيعية التي يعيش في قلبها."[3]

[1] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص: 109.
[2] عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ص: 133.
[3] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ص : 118،119.

الشاعر الأموي أغمض عينيه على الحضارة الجديدة و وجه عقله إلى البيئة الصحراوية ما قبل الإسلام، متحدثا عن الصحراء واصفا لها، و الحيوانات الوحيدة في العالم.

"فبيئة العراق كان شعرها قد أخذ الطابع الثوري كما يعرف بالشعر السياسي فالاهتمام بالشعر كان من طرف ولاة العراق فهذا دافع لقول الشعر أما بيئة الشام فهي عاصمة الخلافة الأموية و هي مستقرهم، فلقد تساقط عليها الشعراء.

و هذا الأخطل يقول:

نَفْسِي فِدَاءِ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ أَيْدِيَ اَلتَّوَاجُدِ يَوْمًا صَارِمًا ذَكَرَ

اَلْفَائِضَ اَلْخَمْرَةَ اَلْمَيْمُونَ طَائِرُهُ خَلِيفَةَ اَللَّهِ يَسْقِي بِهِ اَلْمَطَرُ "[1] .

لقد استمر العيش في البيئة النفسية التقليدية رافضا البيئة الطبيعية التي يعيش فيها ظروف العراق فإن شعره توري كما نسميه بالشعر السياسي، و كان الاهتمام بالشعر جزءا من حكام العراق، و هذا ما أوحى به القول في الشعر. أما بلاد الشام فهي عاصمة الخلفاء الأمويين.

"يبدو وصف ذي الرمة.... تقليديا في أغلبه تشخص فيه مميزات الوصف الجاهلي جميعا، فهو مادي، استطرادي، مفكك، لا يتطور، و لا يتوالد، كما أنه يلم بالجزيئات، إلا أنها بالرغم من ذلك نستشف، عبره، بعض الوجدانية إذ يعبر الشاعر عما يعانيه و يختلج به. "[2]

يبدو أن وصف ذي الرمة تقليدي في معظمه، و يميز جميع مميزات أوصاف ما قبل الإسلام، إنه مادي، مفكك، غير متطور غير منسوخ، مطلع على التفاصيل، لكن مع ذلك نرى فيه بعض المشاعر، حيث يعبر الشاعر عن الألم و الارتباك الذي يعاني منه كما نجد ذو الرمة يصف مظاهر الطبيعة.

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج2، ص: 142.

[2] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص 152، 153.

فيقول ذو الرمة واصفا الصحراء بالليل:

ودَوِيُّهُ مِثْلُ اَلسَّمَاءِ اَعَتَسَفَهَا وَقَدْ صَبَغَ اَللَّيْلُ اَلْحَصَادُ بِسَوَادٍ

بِهَا حَسِيسُ اَلْقَفْرَ صَوْتٌ كَأَنَّهُ غِنَاءُ أُنَاسٍ بِهَا وَتُنَادِي ."[1]

و يقول في وصف الفلاة بالليل:

" لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافْنَا زَجَلٌ كَمَا تَجَاوَبَ يَوْمُ اَلرِّبْحِ عِيشُومْ

هُنَا وَهُنَا وَمِنْ هُنَا لَهُنَّ بِهَا ذَاتِ اَلشَّمَائِلِ وَالْأَيْمَانِ هِينُومْ

دَوِيُّهُ وَدُبَيَ لَيْل كَأَنَّهُمَا بِمْ تَوَاطِنْ فِي حَافَّاتهَ اَلرُّومَ ."[2]

يقول الأخطل أنه قطع المفازة البعيدة الرهيبة، بناقة سيارة، لا يغمض لها جفن، و قد كانت كبيرة كصخرة عظيمة لكنها ضمرت لكثرة ترحال الشاعر عليها فهي كأنها برج أحد الروم الذي بنى بالآجر و الأحجار أو ثور وحشي يلازم القفر و قد انهمر عليه مطر في أرض بكر، فالتجأ إلى جنب شجرة رملية، ثمرها كالعناب بينما أخذت الريح الشمالية، تكفئه من كل جهة."[3]

يقول الأخطل أنه قطع الواجهة البعيدة المرعبة بناقته لا تغمض عينيه كانت بحجم صخرة عظيمة، لكنها دفنت بسبب كثرة رحلات الشاعر عليها كان يشبه برج أحد الرومان المبني بالطوب والحجارة، أو ثورا بريا يرافق البرية، بينما أخذتها ريح الشمال من جميع الجهات.

[1] ذي الرمة، الديوان: قدم له و شرحه أحمد حسن سبج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995، ص: 69،70.

[2] ذي الرمة، الديوان، ص: 257.

[3] حاوي، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص 136، 138.

و فيما يلي نجتزئ ببعض الأبيات كنموذج لذلك الوصف:

"كَأَنَّهَا قَارِبٌ أَقْرَبُ حَلَائِلَهَ ذَاتَ اَلسَّلَاسِلِ ، حَتَّى أيبسْ اَلْوِدِّ

ثُمَّ تَرَبُّعٍ أَبْلَيَا ، وَقَدْ حَمِيَتْ مِنْهُ اَلدَّكَادِكْ ، وَالْأَكْمْ اَلْقَرَادِيدْ

فَظَلَّ مرْتَبْئَا اَلْأَخْذُ قَدْ حَمِيَتْ وَظَنَّ أَنَّ سَبِيلَ اَلْأَخْذِ مَشْهُودِ."[1]

فالشاعر ذو الرمة هو الذي حمل لواء البادية كما قالوا فاتجه إلى وصف الإبل.

"لقد أسلفنا أن موضوع الوصف في الشعر العباسي، لبث في بعض نواحيه يجاري مواضيع الوصف القديم كالإبل و النياق و الذئب و الطير و البقر الوحشي و ما أشبه و أبو النواس ذاته، و هو زعيم التجديد في الشعر العباسي، لم ينج من هذه الآفة"[2]

هاكه يصف الناقة بقوله:

" وَلَقَدْ تَجُوبُ بِي اَلْفَلَاةُ إِذَا صَامَ اَلنَّهَارُ وَقَالَتْ اَلصِّفْرَ

شَدُّ نِيَّةٍ رَعَتْ اَلْحُمَّى فَأَتَتْ مَلْءَ اَلْخِزَامِ كَأَنَّهُ قَصْرٌ . . . . "[3]

" و في العصر العباسي أخذ الشعراء يهتمون بأوصاف الطبيعة من ربيع و رياض و أزهار و أنهار و برك، و من سماء و نجوم و كواكب، و رائية أبي تمام في الربيع، و هائية البحتري في وصف بركة المتوكل و جميته في الربيع"[4]

أصبح الشعراء مهتمين بتصوير الطبيعة مثل وصف أبي تمام في للربيع، و الحدائق و الزهور و الأنهار، و البرك، و السماء و النجوم و الكواكب و البرك.

[1] الأخطل، الديوان: شرحه: مهدي مُحَّد ناصر الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994، ص: 80.

[2] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج2، ص12.

[3] أبي النواس، الديوان، ت: بهجت عبد الغفور الحديثي، ط1، هيئة أبو ظبي، الإمارات المتحدة، 2010. ص: 283.

[4] مُحَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج2، ص: 175.

" و من الوصف شعر الخمريات، و هو كثير في العصر العباسي و وصف الخمر و مجالسها قديم في الشعر العربي، و كان الأعشى إمام هذه الصنعة في الجاهلية، و ممن ألموا بوصفها عمر بن كلثوم في معلقته، و بعد عهد الجاهلية اشتهر بوصفها أبو نواس، فقدموها في المطالع، و أفردوا لها القصائد و أمعنوا في نعتها ما وسعهم الإمعان"[1]..... و من فرائده الخمرية:

" يَا شَقِيقُ اَلنَّفْسِ مِنْ حُكْمٍ نَمَتْ عَنْ لِبِلَّى وَلَمْ أَنَمْ

فَاسْقِنِي اَلْبِكْرَ اَلَّتِي اِخْتَمَرَتْ بِخِمَارِ اَلشَّيْبِ فِي اَلرَّحِمِ

ثَمَتْ إِنْصَاتُ اَلشَّبَابِ لَهَا بَعْدَمَا جَازَتْ مَدَى اَلْهَرَمِ."[2]

و من بين الأوصاف شعر الخمرية، و هو كثير في العصر العباسي، و وصف الخمر و تجمعاته قديم الشعر العربي و كان أسوأ ما واجه هذه الحرفة في العصر الجاهلي.

" المواضيع التي ألم بها الشاعر العباسي و قد اختلفت غاية الاختلاف عن المواضيع التي كان يلم بها الشاعر في الوصف الأموي و الجاهلي، إلا أن اختلاف المواضيع لا يعد و أن يكون اختلافا خارجيا، لأن قيمة التطور الداخلي تظهر في روح الأسلوب و طبيعة الصورة الفنية، و من هذا القبيل يتبين لنا أن الوصف العباسي تميز بخصائص جديدة، في قدرة الشاعر على التجريد و تداول المعاني كصور و انكشاف على عالم الضمير، و ما يتموج فيه من ظلال و أشعة شعورية."[3]

كانت الموضوعات التي عمل عليها الشاعر العباسي مختلفة تماما عن الموضوعات التي كان الشعراء الأمويين و ما قبل الإسلام على دراية بها، لكن الاختلاف في الموضوعات لا يعتبر اختلافا خارجيا لأن قيمة التنمية الداخلية تظهر في روح الأسلوب، و طبيعة الصورة الفنية و من هذا التطور يتضح لنا أن الوصف العباسي تميز بخصائص جديدة، في قدرة الشاعر على تجريد المعاني و تعميمها كصور و التعرض لعالم الضمير و تموجات الظلال و الأشعة الانفعالية.

---

[1] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج2، ص: 197.

[2] أبي نواس، الديوان، ص: 142.

[3] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج2، ص: 81.

ب- اللغة:

غرابة الألفاظ و جزالتها –إذ قرأنا نحن اليوم بعض الشعر الجاهلي وقعنا في أكثره على كلمات غريبة أي كلمات غير مألوفة في مخاطبتنا و كتاباتنا في عصرنا هذا، و يجب أن نشير إلى أن هذه الكلمات كانت يوم ذاك فصيحة أي مأنوسة مألوفة، ذلك لأن ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام و على الإبل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام و الإبل مألوفة، عنده ."[1]

كلمات غير مألوفة و بسيطة، إذ قرأنا في الحديث و الكتابة في عصرنا، يجب أن نشير إلى أن العبارة كانت مقنعة في ذلك الوقت و تعني شخصا مألوفا، الخيام و الجمال مألوفة له، كما أننا نجد تسلسل في الألفاظ تزداد فصاحة مع حلول صدر الإسلام و مع نزول القرآن الكريم كان ذا فصاحة و بلاغة لم يكن مثله شيء.

" إن ديوان حسان بن ثابت –و قد كان حسان قد دخل في الإسلام و أصبح شاعر الرسول منذ أيام الهجرة الأولى – مملوء بالألفاظ و الأغراض الإسلامية."[2]

فلقد اعتنق حسان بن ثابت الإسلام و أصبح شاعر النبي من هجرتهم الأولى، مليئة بالكلمات و المقاصد الإسلامية.

"فقد التفت العربي إلى القرآن الكريم، فتأمل في آياته و يتحلى من بلاغته، و عجب بأساليبه البارعة و ألفاظه العذبة و ديباجته المشرفة و استمع إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم، و ما يلتمع فيها من جوامع المتكلم، و سلامة الأسلوب، إشراف البيان فكان لهذا أثره في تهذيب لفظ الشعر و اسلوبه، و ترقيق حواشيه و صفاء ديباجته."[3]

[1] فروح عمر، تاريخ الأدب العربي، ص: 79.

[2] المصدر نفسه، ص: 258.

[3] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج1، ص : 168.

التفت العرب إلى القرآن الكريم و عرضوا عليه آياته المشهورة ببلاغتها و إعجابها بأساليبها العبقرية و كلماتها الحلوة و مقدمتها المجيدة، فكان الرسول صلى الله عليه و سلم يميز الشعر عن اللغة العربية في الكرم و هو القوة و الرزانة و كل ما يخالف اللفظ.

"فالرسول صلى الله عليه و سلم ميز الشعر عن كلام العرب بالجزالة التي تعني فيها المتانة و الرصانة، و كل ما حالف الركة ثم بين غاية الشعر بقوله: (تتكلم به بواديها) و يشمل هذا أيضا عموم الشعر الذي قيل في عصر الإسلام و قبله."[1]

أما معاني الشعر في هذا العصر فهي المعاني التي تداولها الشعراء قبله بيد أنهم توسعوا فيها، و زادوا عليها بها تهيأ لهم من مظاهر الحياة.

" و ألوان الحضارة، وسعة الثقافة، و الاختلاط بأمم ذات حضارات و معارف متنوعة بل إن من هذه الأمم من تم نضجه الأدبي، و استوى فنه العربي، فقال الشعر بالعربية متأثرة بثقافته و ما ورث من أفكار و معاني و أخلية"[2].

فكان اعتمادهم على الدقة و العمق في المعاني و القوة في الأسلوب، فنجد اللغة في " العصر العباسي تأثرت بعوامل ثلاث: الحضارة و الغناء و اختلاط العرب بالأجانب أما تأثير الحضارة في ألفاظ الشعر و أساليبه فهو شديد الوضوح، فقد تغيرت الحياة العربية في هذا العصر الذهبي ملموسا بوشك أن يجعلها جديدة كل الجدة في جميع مظاهر العيش و الاجتماع."[3]

أما بالنسبة لتأثير الحضارة على لغة الشعر و أساليبه، فمن الواضح أن الحياة العربية في هذا العصر الذهبي شهدت تغيرات ملموسة، و هي على وشك تجديد كل جانب من جوانب الحياة و المجتمع.

---

[1] الصفار ابتسام مرهون، الأهالي في الأدب الإسلامي، ص: 49.

[2] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج1، ص: 170.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص: 106.

"رقت ألفاظه وعذبت، ولانت تراكيبه و سهلت، حتى كاد كل منها يسيل رقة حاشية وأناقة مظهر وعذوبة مخرج، و سهولة بيان، فهجرت الكلمات الغريبة و وضحت الأساليب وأشرقت ديباجة الكلام."[1]

الكلمات مصقولة ومعذبة، والبنية موجزة تكاد تكون كل واحدة منها مجردة من رقة الهوامش وأناقة المظهر و حلاوة المخرجين، و سهولة العرض و هذا سبب إهمال الكلمات الغريبة، يتم توضيح الطريقة، و الكلام هو المقدمة تصبح أكثر إشراق.

يقول البحتري:

" مُخَلَّفٌ فِي اَلَّذِي وَعَدَ سَيْلٌ وَعَلَا فَلِمَ يَجِدُ

وَهُوَ بِالْحُسْنِ مُسَتِّبْد وَبَالَدْلْ مُتَفَرِّد."[2]

"التجديد في المعاني القديمة: فقد تناول الشعراء العباسيون معاني السابقين فتصرفوا فيها بما توحيه بيئتهم و حضارتهم، و ما يمليه تفكيرهم و ثقافتهم."[3]

سار الشعراء العباسيون على نهج القدامى في استخدام معانيهم ، لكن طور و تصرفوا فيها بناءا على ثقافتهم .

"فكل ما في حياة الشعراء من طبيعة متبرجة و حضارة زاهرة، و مدينة وافرة، و عادت طارئة ألهمهم جديد المعنى، و مبتكر الخيال و كل ما وقع في أفكارهم من ثقافة و حكمة و فلسفة أكسبهم استقصاء المعاني في دقة و عمق تفكير، و لهذا زخرف شعرهم و امتلأ أدبهم بكل جديد دقيق."[4]

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج1، ص : 107.

[2] البحتري، الديوان، ت، حسن كامل الصيرفي، ط، دار المعارف، مصر، 1964، ص : 70.

[3] مصدر سابق ، ص 127.

[4] مصدر نفسه، ص: 130.

بناء على ما تدل عليه بيئتهم و حضارتهم، و ما يمليه تفكيرهم على ثقافتهم كل شيء في حياة الشعراء، كالازدهار و الحضارة و عادات الطيران منحهم معاني جديدة و مبدعين للخيال و كل ما يحدث في ثقافتهم و حكمتهم و فكرهم الفلسفي يجلب لهم تحقيق ذا مغزى في دقة و عمق التفكير.

ت- الصورة الشعرية:

" الصور والتشابيه فقد جاءت جميعا منقولة عن واقع البيئية و الحياة الجاهلين، رأينا ذلك في ليل امرؤ القيس، و ليل النابغة، فضلا عن أوصاف المرأة و تشابيهها. أو ليست حبيبة طرفة و سائر الجاهلين، هي مجموعة من الصور و المشاهد المستفادة من واقع حياتهم و طبيعة بيئتهم، و ذلك أمر طبيعي لأن مشاهد البيئة تنطبع في نفس الشاعر حتى إذا تحولت الأفكار و طفقت الهواجس الشعرية تدور و تهوم في خاطر الشاعر ، استيقظت انطباعاته النفسية و اتحدت هواجسه و أفكاره لتجسدها و تعبر عنها، فلا غرابة إذا، إلا نعثر على صورة أو تشبيه في الشعر الجاهلي حتى يكون منقولا عن الحياة أو الطبيعة الجامدة."[1]

الصور و التشابهات كلها تأتي من بيئات حقيقة و حياة جاهلة، أما بقية الجهلة فهي مجموعة من الصور والمشاهد مأخوذة من الحياة الواقعية، و هو أمر طبيعي، لأنه حتى لو تغيرت الأفكار فإن مشاهد البيئة ستطبع في روح الشاعر، و يدور الهاجس الشعري في ذهن الشاعر لتجسيدها.

"يلتزمون الصدق في أوصافهم، و الحقيقة في أوضح صورهم، و ليس معنى هذا أن الوصف يتجافى مع الخيال، فهو يعتمد على الخيال إلى حد بعيد، إذ الصدق لاينا في الخيال."[2]

[1] حاوي إيليا، فن الوصف في الشعر العربي، ج1، ص: 109- 110.
[2] المصدر نفسه، ص: 130.

إنهم يصرون على الحقيقة في أوضح صورها، و هذا لا يعني أن الوصف يتعارض مع الخيال لأنه يعتمد كثيرا على الخيال، فعنترة حين قال مثلا:

"يَدْعونَ عَنْتَرَ، و الرِّمَاحُ كَأنَّها أَشْطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهم.

ما زلت أرميهم بِغُرة وجْهِهِ و لباني حتى تسربل بالدم.

فازَوّر من وقعِ القفا بلبانه و شكا إليّ بعبرة و تَحَمَحُم."[1]

فالشاعر في هذه الأبيات تصويره صادق فيصف الرماح و كأنها تصبو مستطيلة كأنها مستطيلة في استطالتها أشطان البئر و الدم يتطاير على وجه الجواد فَيُغطيه فالفرس مصاحب لمحاربة فيشاركه في الحرب.

"كان الشاعر رهيف الحس كامرؤ القيس خيل إليه أن الليل جمل ضخم، أناخ على الكون يتمطى ويتهادى في الجثوم و الرسوخ على قلب الشاعر."[2] و من يقول امرؤ القيس:

وَليلٍ كموجِ البحرِ أرخَى سُدولَه عَلَيّ بأنواعِ الهُمُومِ لِيبْتَلي

فَقُلتُ لَهُ لما تَمَطَى بِصُلبِه وَ أَرْدَفَ أَعجازًا، وَ ناءَ بِكَلْكَلِ."[3]

فالشاعر يشكو من ليله الذي أطال أمده فزاده فيه ألمه فشبه اليل بموج البحر الملاطم أسدل على ظلمته وسط قوته و وحشته كما أنه أرسل عليه ألوانا من الهموم و الأحزان فهنا ليختبر منه القوة و الصبر.

[1] عنتر بن شداد، الديوان، ص: 77.

[2] طليمات غازي، الأدب الجاهلي، قضاياه و أغراضه، أعلامه، فنونه، ص: 73.

[3] امرؤ القيس، الديوان، ص: 48.

" والجبال في تصوير الشاعر مقرونة بالضخامة المادية و بالوقار المعنوي، و الجبال في عين أبي دؤاد الأيادي، جبال متحركة، فإذا سارت القافلة من الإبل فوق الجبال ظننتها جبالا فوق جبال، فإذا انعطف السير بقطار الإبل خلف أنف الجبل غاض في شعبة الأغبر الذي يبتلع الجيش الجرار."[1]

و الجبل الذي وصفه الشاعر مقرونا بضخامة المادة و توفير الأخلاق، و الجبل في عيون أبو دؤاد هو الجبل المتحرك فإذا هو قطار الجمال فوق الجبال، فأعتقد أنه جبل لذلك إذا كان قطار الجمال على قمة الجبل، يستدير الظهر، و يغرق قي الانقسامات الترابية التي تلتهم جيوش الجرارات.

"وكلها تصور هذه الحياة الحزينة المتشابهة من غير تكلف أو صنعة فإذا ابتسمت كانت صورة الأمل الذي خالج قلب الشاعر، و بارقة الحلم التي راودت خياله إلى حين."[2]

يصور الشاعر الحياة المأسوية و المتشابهة، دون ادعاءات بابتسامة و صورة الأهل التي دخلت قلب الشاعر. بريق الحلم الذي حلموا به لفترة.

" الخيال ملكة خصبة تقدر على تخيل الأشياء و تصوير العواطف و الآراء تخيلا و تصويرا يوضح لنا نواحيها الغامضة و يعرض علينا ما فيها من أسباب الروعة و الجمال عرضا مؤثرا تحسبه حقيقة أو كالحقيقة الملموسة، يأخذ الشاعر الأشياء المألوفة التي يراها الناس جميعا ثم يعمل فيها خياله فيخرجها في صورة جديدة لم نكون نتوهمها."[3]

الخيال قدرة غنية على تخيل الأشياء و تصوير العواطف، الآراء خيالية و مجازية يشرح لنا جانبهما الغامض في عرض مثير للإعجاب يوضح لنا شبب التألق و الجمال.

"كان الخيال الجاهلي يحبو و يتزاحف، ملتصقا بالواقع، يكبره و يتسع به، لكنه يعجز، غالبا أن يسمو عليه، و يبدع واقعا جديد بصورة خاصة، فإن ارتباط الخيال بالشعور في الوصف الجاهلي كان ضعيفا حتى أننا لم نشهد فيه سوى الصور التشبيهية، بينما أوشكت الصورة النفسية أن تنعدم

[1] طليمات غازي، الأدب الجاهلي: قضاياه و أغراضه، أعلامه، فنونه، ص: 75.

[2] لجنة من ادباء الأقطار العربية ، الوصف ، ص : 45 .

[3] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي تاريخه، ج1، 170، 171.

لا شك أن ذو الرمة ألم بمثل هذه الصورة و ربما ألفيناها تستأثر به، إلا أنه بالرغم من ذلك انفرد بالقدرة على التصوير الذي يحدس في الرؤية في يقين النفس حيث يتراء من الواقع خلاله ، كملمح بعيد... قال:

حَتَّى إِذَا مَا اِنْجَلَى عَنْ وُجْهَةِ قَلَقِ هَاوِيَةٍ فِي أُخْرَيَاتِ اَللَّيْلِ مُنْتَصِبِ."[1]

فالمعنى تمثل بصورة من واقع البيئة الجاهلية فجعل أن ذنب الصبح منصب في ساعة متأخرة من الليل إلا أن هذه الصورة ليست منقولة بل صورة من الوهم أخذت من الخيال كملمح حسي واقعي.

"فليس الشعر صورا و ألفاظا و عبارات، إنما هو عواطف الشاعر و شعوره يركبها خيال ضاع و ملكات قادرة و مقدرة فنية موهبة في صور من الألفاظ و الأساليب و جمال الشعر و روعته موقوفان على مدى إحساس العاطفة و قدرة الخيال على تصويرها [2]."

يعتبر العصر العباسي عصر نضج و تجديد و فتطورت الصورة الشعرية في بنيتها من المستوى البسيط إلى المستوى المركب فلم تعد الصورة الشعرية عبارة عن مشبه و مشبه به و إنما أصبح التشبيه عبارة عن تشبيه صورة بصورة كما امتلأت أشعارهم بألوان البديع المختلفة، فلقد وجد من الشعراء العباسين من سمي بشاعر الصنعة.

"و سرى زخرف الحضارة و وشيها، و ما فيها من تصنيع و تجميل إلى الشعر فظهر المحسن البديعي، و شاعت ألوانه، من جناس و طباق و تورية، و نحو ذلك؛ و قد كان أول أمره ساذجا واضحا في شعره مسلم أبو نواس و البحتري ثم غلا فيه أبو تمام و أوغل، حتى غض من جمال شعره، و مازال الشعراء يلحون فيه، و يتوسعون في فنونه. حتى كان آخر من آنت إليه الإبداع فيه ابن المعتز."[3]

---

[1] حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1، ص: 159.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي تاريخه، ج1، ص 172.

[3] المصدر نفسه، ج2،ص: 111.

تجميل الحضارة، التي فيها صناعة الشعر، و ظهور المحسن البديعي فلقد أصبح تشكيلة واسعة من الألوان مثل الجناس، و المقابلة، و التورية.... الخ. أولا البراءة و الوضوح في أشعار المسلمين، و أبو نواس ثم أبو تمام و أغرا الذي يبالغ شعره بشكل جميل، و هو ما يصر عليه الشاعر، و توسع في فنه حتى كان آخر رجل مبدع.

"و مجمل الأمر أن عوامل الحضارة و الغناء و الامتزاج أثرت تأثيرها في لفظ الشعر و أسلوبه بما طرأ عليها من رقة اللفظ، و عذوبة الكلام، و سجاحة التركيب و سهولة الأسلوب، و اشراف الديباجة، و جمال الاستعارة و لطف التشبيه، و استحداث البديع و الإكثار منه، و الإكثار من النظم في البحور القصيرة، و البدع أوزان جديدة، و استعمال الألفاظ و المصطلحات الأجنبية والعناية بمصطلح القصائد، و الحرص على التناسب بين أجزاء القصيدة."[1]

تؤثر عوامل مثل الحضارة و أسلوب الغناء و الاختلاط على نطق الشعر و أسلوبه، بما في ذلك النطق الناعم و الكلام الحلو و البنية الواضحة و الأسلوب المريح و السحر اللامع، جمال الاستعارة، حنان الاستعارة، خلق الجمال و تراثه، ثراء إيقاعات البحر القصيرة، اختراع أوزان جديدة، استخدام الكلمات الأجنبية، الاهتمام بالقراءة الشعر والانتباه إلى النسب بين أجزاء القصيدة.

[1] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربيو تاريخه، ج2، ص117،118.

الفصل الثاني

أجواء الأندلس

المبحث الأول: أجواء الأندلس

1-الطبيعة في الأندلسي.

2-المجتمع الأندلسي.

3-البيئة الفكرية في الأندلس

المبحث الثاني:

المحور الأول: الوصف في الشعر الأندلسي خصائصه.

أ-الموضوع.

ب-اللغة.

ج-الصورة الشعرية.

المحور الثاني: شعراء الوصف

المحور الثالث: الفرق بين شعراء الوصف في المشرق وشعراء الوصف في الأندلس .

أجواء الأندلس:

1-الطبيعة في الأندلس:

للطبيعة صدى واسع في حياة العربي في مشرقه ومغربه، فالبيئة الأندلسية تنعم بجمال آثر وروعة آسرة، وتصطبغ بظلال وارفة وألوان ساحرة، تتنفس بجو عبق عطر يضاعف من روعته وبهائه فلقد منحها الله طبيعة فاتنة، فكانت أغنى بقاع المسلمين منظرا لتصبح فضاء إبداعيا، كل هذا له أثره في جمال الأندلس التي شغفت بها القلوب وهامت بها النفوس.

" وقد كان لطبيعة الأندلس الزاخرة بالمفاتن أثر كبير في طبعهم على هذه الشيمة، حتى لم تخل مدينة من مدنها من شاعر حاذق، أو كاتب بليغ، كما يقول ابن بسام في مقدمة ذخيرته"[1].

وفيما يظهر أن جمال الأندلس الطبيعي وحسن موقعه وخصب أرضه وما سحر الشعراء هناك من أنهاره وأطياره، وما رأوه من مجالس الأنس وموائد المدام، ألهمهم جميل الأوصاف... والواصف عند الأندلسيين قد شمل كل شيء وطرق كل وقع تحت السمع والبصر لاتساع الخيال ليهم، ووفرة مادة المشاهدات في بيئتهم، لذلك لم يدع شعراؤهم جليلا ولا حقيرا ولا مبتذلا ولا عظيما، ولا مظهرا من مظاهر الطبيعة، ومناظر الكون إلا وصفه بعدل شعرهم، ورسموا رسما واضحا جليا يجعل السامع كأنه ينظر بعيني رأسه ما يسمح بكلتا أذنيه"[2].

يبدو أن جمال الأندلس الطبيعي وموقعها الجيد وخصوبة أرضها، وأنهارها وطيورها، وما رأوه من تجمعات الناس، ألهمهم بأوصاف جميلة، ولم يتسم الشعراء الأندلسيين بالوقار أو الحقير، أو المبتذل أو العظمة، أو مظهرا من مظاهر الطبيعة ومشهد الكون إلا بحلاوة شعرهم.

"وقد كان من أثر جمال الأندلس أن شغفت بها القلوب وهامت بها النفوس، فتعلق بها الأندلسيون جميعا وأقبلوا يسرحون النظر في خمائلها ويستمتعون بمفاتنها ما شاء لهم الاستماع، وأخذ

[1] الركابي جودت، في الأدب الأندلس، ط2، دار المعارف، مصر، 1966، ص 63.

[2] عبد العزيز مُحَمَّد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، د ط، القاهرة، 1945، ص ص 117-118.

الشعراء والكتاب ينظمون كلمهم دورا في وصف رياضها ومباهج جناتها بعد أن فتحت في نفوس قول الشعر، وجعلتهم يرون فيها كما يقول ابن خفتجة –جنة الخلد بمائها وظلها وأنهارها وأشجارها"[1].

وكان من أثر جمال الأندلس أن فتنت القلوب به النفوس به، فتعلق الأندلسيون بها وينظرون إلى جمالها ويستمتعون بسحرها بقدر ما يشاء لهم الاستماع ومضت في خلود الخلد بمياهه وأنهاره وظلاله وأشجاره.

يَأَهلَ أَندَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ماءٌ وَظِلٌّ وَأَنهارٌ وَأَشجارُ

ما جَنَّةُ الخُلدِ إِلّا في دِيارِكُمُ وَلَو تَخَيَّرتُ هَذا كُنتُ أَختارُ "[2].

فإن خفاجة شاعر الطبيعة ومصورها، وقد امتلأت نفسه وعينه من جمال الحياة وجمال الطبيعة، فراح يبرز هذا الجمال المعنوي في صور مختلفة من الجمال اللفظي، فانتقى الأساليب الصافية والألوان الزاهية، فلم يكن جمال الطبيعة في الأندلس هو وحده الذي ساعد على ازدهار شعر الطبيعة هذا، بل أن حياة المجتمع الأندلسي أثرت أيضا في هذا الشعر، الذي يمثل تعلق الشعراء الأندلسيين بيئتهم وتفضيلهما على غيرها من البيئات، ولكون الشعر عندهم يصف طبيعة الأندلس سواء الطبيعة أو الصناعية، فهم يصورنها عن طريق الطبيعة كما أبدعها الله في الحقول والرياض، والأنهار والجبال والسماء والنجوم.

"وإذا كان المرء إلى حد كبير ابن بيئته، فقد كان لمناخ هذه البلاد وطبيعتها تأثير جلي في طباع أهلها وأمزجتهم وميولهم ونزعاتهم وطرق عيشهم، وبالتالي في فنونهم وآدابه ومختلف ألوان نشاطهم وإبداعهم"[3].

وإذا كان الإنسان إلى حد كبير هو ابن بيئته، فإن مناخ هذا البلد وطبيعته كان لهما تأثير واضح على شخصية أهلها، ومزاجهم وميولهم وطرق معيشته.

---

[1] الركابي جودت، في الأدب الأندلس، ص 130.

[2] ابن خفاجة، الديوان: عبد الله منرة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2006، ص 133.

[3] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، د ط، دار الشرق، بيروت، 1975، ص 09.

"يبدو لنا وصف الطبيعة أثيرا لدى معظم الشعراء، وأن الشاعر الأندلسي كان كثير التجاوب مع بيئته الجديدة وطبيعة بلاده الجميلة، ومن هنا جاز لنا القول إن شعر الوصف بصورة عامة أو وصف الطبيعة وجه خاص أصبح له شأن عند عرب الأندلس لم يكن له مثله عند أقرانهم في المشرق، وذلك استجابة منهم لمؤثرات البيئة وما انطوت عليه بلادهم من مشاهد الفتنة ومظاهر الحسن، وهكذا انفعلت نفوسهم بما استشعرت حولها من عناصر الجمال، وفاضت قرائحهم ببديع القول تجاه تلك الربوع التي شغفوا بها"[1].

إن الشاعر الأندلسي كان شديد التجاوب مع بيئته الجديدة وطبيعة وطنه الجميل، ومن هنا يجوز لنا أن نقول إن شعر الوصف بشكل عام أو وصف الطبيعة في جانب خاص أصبح مهما لعرب الأندلس التي لم تكن مثلها بين أقرانهم في الشرق، وذلك استجابة منهم لتأثيرات البيئة ومشاهد الفتنة والخير، يبدو أن بلدهم متورط فيه، وقد تم تنشيط أرواحهم بعناصر الجمال التي شعروا بها من حولهم وفاضت قلوبهم بمقولة رائعة نحو ذلك الربيع، بما كانوا متحمسين له.

"الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها أهوازية في عظيم جباتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها، فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة، وقد أطنب المقري في وصف طبيعتها الفاتنة الغنية، ثم انتهى إلى أن محاسن الأندلس لا تستوفي بعبارة، ومجارى فضلها لا يشق غباره"[2].

"ويبلغ هذا المنحنى ذروته عند ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأكبر في الأندلس حين يزاوج بين الطبيعة والمرأة في أكثر من شعره، وكم تألقت ربوع الأندلس الجميلة لديه فتاة حسناء تأخذ بمجامع القلب"[3].

إن وصف الطبيعة من أكثر الأشعار انتشارا في الأندلس نظرا لما كانت تتمتع به الأندلس من طبيعة خلابة ساحرة جعلت عيون الشعراء لا تمل النظر إليها، وصارت ألسنتهم تفيض بألوان من

[1] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 206.

[2] سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، د ط، القاهرة، مصر، 1945، ص 246.

[3] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص ص 208-209.

الشعر في تخليد تلك المشاهد، فتناول الشعراء ملامح الطبيعة وجمالها بالوصف الدقيق، فوصفوها وصفا حيا واقعيا، فنجد ابن خفاجة يزاوج بين وصفه للطبيعة والمرأة، فنجده يقول في وصفه:

"إِنَّ لِلجَنَّةِ فِي الأَندَلُسِ مُجتَلى حُسنٍ وَرَيّا نَفَسِ

فَسَنا صُبحَتِها مِن شَنَبٍ وَدُجى ظُلمَتِها مِن لَعَسِ"[1].

قال ابن صارة الأندلسي يصف ماء بالرقة والصفاء:

" وَالنَّهْرُ قَدْ رَقَّتْ غِلَالَهُ خَصْرُهُ وَعَلَيْهِ مِنْ صَبْغِ اَلْأَصِيلِ طِرَازٌ

تُقْرَقْرَة اَلْأَمْوَاجُ كَأَنَّـــــهَا عَلَنُ اَلْخُصُورِ تَهُزُّهَا اَلْإِعْجَازَ "[2].

قال الأديب أبو عمر أحمد بن فرح الحياني:

" لِلرَّوْضِ حَسَنْ فَقِفْ عَلَيْهِ وَاصْرِفْ عَفَّانْ اَلْهَوَى إِلَيْهِ

أَمَّا تَرَى نَرْجَـــــــسَا نَضِيرَا يَرْنُو إِلَيْهِ بِمُقْلَتَيْهِ "[3].

"فابن زيدون يتغنى بقرطبة وزهرائها، وأبو الحسن بن نزار وناهض ابن إدريس يتعلقان بوادي آش أو أشات، ومطرف شاعر غرناطة، وابن سفر المريني وصاف أشبلية، وابن الرقاق منشد بلنسية، وقد أعطانا المقري صورا مغربية لوادي أشات ووادي عذراء وسر قسطة وبرجة...، وهذه الصور ترسم تلك الديار على نحو فني بديع، لا يصدر إلا عن شعراء ينفعلون فيصورون ما جاءت به نفوسهم"[4].

"ومن شعر أبي الحسن بن نزار في وادي آش أو وادي الآشات، وهو كما يعرفه المقري: "مدينة جليلة قد أحدقت بها البساتين والأنهار، وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر".

وَادِي اَلْآشَاتْ يُهَيِّجَ وَجِدِّيٌّ كُلَّمَا أَذْكَرْتْ مَا أَفْضَتْ بِكَ اَلنَّعْمَاءُ

لِلَّهِ ظَلَّتْ وَالْهَجْرُ مُسَلَّطٌ قَدْ بَرُدَتْ لَفْحَاتِهِ اَلْأَنْدَاءْ

وَالشَّمْسُ تَرْغَبُ أَنْ تَفُوزَ بِلَحْظَةٍ مِنْهُ فَتَطَرَّفَ طَرَفُهَا اَلْأَفْيَاءَ "[5].

---

[1] ابن خفاجة، الديوان، ص 178 .

[2] الركابي جودت، في الأدب الأندلس، ص 153.

[3] المصدر نفسه، ص 154.

[4] سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص 259.

[5] سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص 260.

2-المجتمع الأندلسي:

شكلت العناصر البشرية التي انصهرت فيما بينها في الأندلس نسيجا اجتماعيا مميزا، كما أنه قد تجلى الوضع الاجتماعي في عصر أمراء الطوائف، فمن جهة أولى أدى التمازج والانصهار بين العرقيات المتنوعة التي كانت موجودة في الأندلس إلى عوامل إيجابية تجلت في ظهور الشخصية الأندلسية العربية المميزة التي كانت لها عقلية خاصة، وصفات لم تكن لغيرهم من العرب الخلص فعلى الرغم من إيجابية التمازج المؤلف من العرب والبربر والموالي والقوط والصقالبة في وحدة الأندلس، إلا أنه ظهرت في تلك الفترة الزمنية العنصرية.

"تطور الأدب في الأندلس وازدهر، ولا سيما الشعر، وقد كان غزيرا وافرا، غطى جميع جوانب الحياة في المجتمع الأندلسي، فكانت له قيمته العالية حتى ضاهى الشعر في المشرق وقيمته في نفس العربي الأندلسي...، إذ انتقل عديد من الأدباء والرواة من المشرق للأندلس، ناقلين معهم الدواوين الشعرية والكتب المنتخبة، والشروح وكتب الشواهد النحوية، مثل أبي علي القالي الذي رحل للأندلس ومعه كما هائلا من دواوين شعر الأوائل من المشارقة، زيادة على انتقال الأندلسيين للمشرق، ليعودوا بالأدب الوافر الذي أخذوه عن المشارقة، الأمر الذي ساهم في تداول هذا الشعر بين أبناء المجتمع الأندلسي على اختلاف مستوياتهم"[1].

تطور الأدب في الأندلس وازدهر وخاصة الشعر كان غزير غطى جميع جوانب الحياة في المجتمع الأندلسي، وكان له قيمة عالية حتى تطابق الشعر في الشرق وقيمته في روح العرب الأندلسيين، كما انتقل العديد من الكتاب والرواة من المشرق إلى الأندلس يحملون معهم مجموعات شعرية وكتب وشروحات وشواهد نحوية مثل أبي القالي الذي رحل إلى الأندلس ومعه عدد كبير من الكتب الأولى من الشرق، بالإضافة إلى الحركة الأندلسية إلى الشرق للعودة إلى الأدب الغزير الذي أخذوه من الشرق، مما ساهم في تداول هذا الشعر في المجتمع الأندلسي على اختلاف مستوياته.

[1] معين خليف القرالة، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف وأثر الثقافة المشرقية في ترسيخ مذهب الأوائل، دار الفاروق، عمان، الأردن، 2016، ص 05.

"تعاقبت على أرض الأندلس أقوام كثيرة عبر عهود سحيقة، فسكنها الأيبمريون والسلتيون، ثم اقتحمها الفينيقيون واليونان والقرطاجيون، ثم الرومان والفاندال، وأخيرا القوط، كما كانت ثمة عناصر وافدة من الصقالية، وكانت أمواج المسلمين يوم الفتح، وما تلاها بعد ذلك من موجات العرب والبربر المتلاحقة آخرة حلقة كبيرة في سلسلة هذا التفاعل الحافل"[1].

أتت شعوب كثيرة إلى أرض الأندلس عبر العصور القديمة، سكنها الإيبريون والسلتيون، ثم غزاها الفينقيون واليونانيون، ثم الرومان والوندال وأخيرا القوط.

"وعلى رغم اختلافها وتعددها الظاهر فقد تركت في الأندلسي صفات مشتركة استطاعت أن تمنحه شخصية خاصة به، فالطبيعة نفسها فرضت سلطانها في تكوين هذه الشخصية، والاختلاف العنصري نفسه لعب أيضا دوره في تكوين هذه الشخصية، إذ سواء أكان الأندلسي عربيا أم بربريا، أم صقليا، أم إسبانيا محافظا على دينه...، ومن المفيد أن نشير إلى أن لسان الدين بن الخطيب قد نظر إلى الشعب الأندلسي هذه النظرة أي من خلال الطبقات التي يتألف منها، ولم يهتم كثيرا بالفوارق العنصرية، وقد عد المستعربين أي الإسبانيين الذين حافظوا على دينهم والذين نسميهم (Mozarabes) عدهم من طبقة الإشراف"[2].

وعلى الرغم من اختلافها الواضح وتعددها، إلا أنها تركت في الأندلس خصائص مشتركة استطاعت أم تمنحها شخصية خاصة بها، فلقد فرضت الطبيعة نفسها وسلطتها في تكوين هذه الشخصية، فسواء كان الأندلسي عربيا أو بربريا أو صقليا أو إسبانيا، فقد حافظ على دينه، ومن المفيد الإشارة إلى أن لسان الدين بن الخطيب كان ينظر إلى الأندلس بهذا الرأي، أي من خلال الطبقات التي يتكون منها، ولم يهتم كثيرا بالاختلافات العرقية، كما أنه قد اندمجت فئات المجتمع، ووحد الإسلام بينها فأصبحت اللغة العربية هي لغة الجميع وساهموا جميعا في الحضارة الإسلامية، فكانت الأندلس مضرب المثل والجمال والنظافة.

[1] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 35.

[2] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص 43.

شعب الأندلس عرب في النسب والشرف والأناقة والروح العالية وبلاغة الألسنة والنفوس الطيبة.

"أهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والأنقة وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباء الضيم وقلة احتمال الذل، والسماحة بما في يديهم، والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية، هنديون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم، بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم، وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة أفكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الفراسات واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة"[1].

فلقد أحدثوا قصورا جميلة ومدارس كثيرة ومساجد عظيمة تدل على الفن الهندسي في البناء وعلى الذوق الجميل، لكن المجتمع هناك لم يخلو من عوامل الضعف ومكونات الفساد، كان كثير منهم يميل إلى الترف والإسراف واللهو والموسيقى والغناء.

واحتلت المرأة في الأندلس منزلة عظيمة، ونالت حظا وافرا من التعليم ونبغت في العلوم والآداب والفنون كثيرات: قيل إن مئة وسبعين امرأة بضاحية.

3-البيئة الفكرية في الأندلس:

إن ازدهار الحضارة الأندلسية لم يأت من فراغ، بل كانت ثمرة الاستقلال السياسي الطويل الذي نعمت به الأندلس في عهد الخليفة الناصر الذي اهتم بالشعر والأدب وحفل بلاطه بالعلماء والأدباء يأتونه من كل حدب وصوب، وقد اشتهر عن عبد الرحمان الناصر شغفه بالكتب، بفضل الطبيعة الخلابة للأندلس وقريحة أهلها، فلقد ازدهر الشعر فيها وبرز منها الكثير من الشعراء يتغنون بجمال بلادهم.

"عرفت الحضارة الأندلسية تطورات مختلفة، متبعة تطور تاريخ الأندلس السياسي، فقد وصلت هذه الحضارة إلى ذروة القوة في عهد الخلافة الأموية أيام حكم عبد الرحمن الناصر وولده

[1] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص 44.

الحكم، ولكنها لم تصل إلى ذروة نضجها الفكري، ولما انهارت الخلافة الأموية وسادت الفوضى أرجاء الأندلس في عهد الفتنة ذوت الحضارة الأندلسية وخبت مظاهرها العمرانية والفكرية حتى جاءت دول الطوائف، فاستطاعت على رغم تطاحنها أن تعيد بماء الحضارة الأندلسية في قصورها ومنشآتها ومجتمعاتها، وسطعت شمس الأدب والفكر"[1].

شهدت الحضارة الأندلسية تطورات مختلفة بعد تطور التاريخ السياسي للأندلس، فوصلت هذه الحضارة إلى ذروتها في عهد الخلافة الأموية.

"وازدهرت المعاهد العلمية أيام الموحدين بالمغرب والأندلس، وكانت المعاهد الأندلسية في إشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسية يومئذ مجمع العلوم والمعارف، ومقصد الطلاب من كل فج وفيها المكتبات التي تضم الكتب النفسية والتأليف النادر في مختلف العلوم والفنون"[2].

ازدهار المعاه العلمية أيام الموحدين في المغرب والأندلس، وكانت المعاهد الأندلسية في ذلك الوقت مجمعا للعلوم والمعرفة ووجهة للطلاب من جميع الأعمار، كانت تحتوي على مكتبات تحتوي على كتب ومؤلفات نادرة في مختلف العلوم والفنون.

"وفي ظل مملكة غرناطة خذت الحركة الفكرية في الاستقرار، وبدأت الأندلس حياتها الجديدة وآنست جوا من الطمأنينة والهدوء، وكان ملوك غرناطة من حماة الآداب والعلوم، وسطح بلاط دولة بني الأحمر بتقاليده الأدبية الزاهرة على غرار قصور الطوائف"[3].

شكلت حضارة إشبيلية في عهدها المغربي، الذي ربا عمره كثيرا عن قرن ونصف، زاوية في المجال الفكري والأندلسي العربي الإسلامي، تأثرت صورتها بجذور المناخ الثقافي العام وساهم في عصر الطوائف في بلورت شخصيتها المحلية المستقلة، لكنها تميزت إبان المرحلة الأخيرة من تاريخها الإسلامي، وفي فضاء عرف تباينها فكريا نوعا عميقا بين الإدارة المترابطة والموحدية، بنشاط فكري

[1] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص 55.
[2] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 29.
[3] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص 58.

خصب على مستوى النظر والممارسة وفي شتى حقول معارف الرواية والدراية، جعل صورتها الفكرية خصوصا في مجال العلوم العقلية، تكاد تحتل مركز خريطة الشهد الثقافي العام بربوع الغرب الإسلامي.

"إن الحركة الفكرية والأدبية والاجتماعية الحافلة التي عرفتها الأندلس في وثبتها الحضارية جعلت هذه الربوع منارة إشعاع في إبان القرون الوسطى..."[1].

كانت الحياة الفكرية والثقافية في العصر الأندلسي أهمية كبيرة، إذ كانت تلك الفترة من أخصب الفترات وأغناها، فلقد تميزت الأندلس بالأشعار المميزة، والتي تعد ثقافة بارزة فيها.

"إن حشد حافلا من الثقافة الجديدة كان يعتمل ويختمر في الأندلس، وفي ظلال جيوش الخلفاء المظفرة وأسنها المشرقة التي لا تغلب كان الكتاب ينشئون، والعلماء يحاضرون إلى جوار عمد المسجد الجامع، وانصرف الأغنياء إلى التنافس في جميع الكتب، وغنت القيان ونظم الشعراء وعكف العلماء على تصنيف طلائع مجموعات النظم والنثر"[2].

"لقد حاول ابن حزم أن يجعل الشعر الأندلسي موروثا أندلسيا قديما، بدأ مع الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية، ذلك أنه كان يدرك قيمة التراث العربي الإسلامي للأندلسيين ودوره في نشأة الشعر الأندلسي، وفي النماذج التي احتذاها والمجلات التي كان يتناولها"[3].

وقد اشتهر الأندلسيون بحب الثقافة والاطلاع، وتقدير العلماء وإعلاء مقامهم، ولذلك كثر العلماء في الأندلس وكثرت مؤلفاتهم، وقدمت الأندلس للثقافة الإسلامية العربية، أعلامها بارزين في مختلف العلوم والفنون.

"والحقيقة الباهرة التي لا مجال للجدال فيها هي أن العرب قد طبعوا البلاد بطابعهم أمدا مديدا حين أتيح لدينهم أن يزحزح المسيحية، وحين قيض للغتهم أن تزحزح اللاتينية، وهكذا ازداد إقبال الناس على تعلم لغة العرب، باعتبارها لغة الحضارة، فانصرفوا إليها وشغفوا بها"[4].

---

[1] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 34.

[2] المصدر نفسه، ص 35.

[3] معين خليف القرالة، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص ص 19-20.

[4] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 37.

الحقيقة الرائعة المتمثلة في عدم وجود مجال للنقاش هي أن العرب قد شبعوا البلاد بشخصيتهم لفترة طويلة عندما سمح لدينهم بإزاحة المسيحية، وعندما كانت لغتهم تحل محل اللاتينية، وهكذا ازداد اهتمام الناس بتعلم لغة العرب لأنها لغة الحضارة، فتوجهوا إليها وأصبحوا شغوفين بها.

رقي الأدب رهين بتوفر عوامل مؤثرة في إنتاجه وثروته، وبآخذ أسباب من شأنها أن تساعد على إمداد بما يحتاج إليه... وكلما قويت هذه الأسباب وتأكدت قوى الأدب وذاع، وملأ الأبصار والأسماع، وكذلك كانت الحال بالأندلس ،فقد وجدت بها دواع بعثت تلك النهضة الأدبية الفذة التي شغلت من صفحات تاريخ الأدب طائفة يتضاءل أمامها العد، والتي خلفت بتأثيرها العجيب وقواها الفعالة رجالا ونساءا ظهروا على مسرح الحياة الأدبية بأدوار مهمة، سجلتها لهم بطون الكتب وروتها عنهم صحائف الأيام"[1].

يعتمد تقدم الأدب على توافر العوامل المؤثرة في انتاجه وتواتره ويتطلب أسبابا تساعده في توفير ما يحتاج اليه ،وازدهرت المرأة في مرحلة الحياة الأدبية بأدوار مهمة سجلتها لها بطون الكتب ودونت عنها صحائف الأيام .

"وهناك أمر له: في ترقية الآداب والنهوض به، أثره وخطره، ذلك هو قصر مراتب الدولة الرفيعة على الأدباء واختصاصهم بها...، وكان عشاق الأدب يتنافسون في الشهرة على حسابه حتى يحوذوا ذلك الشرف ويبلغوا تلك المنزلة، والله در ابن الخطيب يقول:

الطب والشِّعر والكتابة سِماتُنا في بني النجابة

هُنَّ ثلاثٌ مبَلِّـــــغاتٌ مراتباً بعضُها الحجابة [2].

وقد كان لتلك الحضارة العظيمة التي أنشأها المسلمون في الأندلس الأثر العظيم الواضح على أوروبا جميعا، فقد كانت أوروبا تعيش في عصر الظلام والانحطاط والجهل في الوقت الذي كانت الأندلس تعيش في قمة الحضارة، فتلقت أوروبا العلم عن الأندلس، ورحل الأوروبيون إليها لدراسة الطب والعلوم الأخرى.

[1] عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص 118.

[2] المصدر نفسه، ص 186.

"ولقد زاد الحياة العلمية وقوة نشاطها ، ورغب الناس فيها على اختلاف مشاربهم وأغراضهم كثرة المؤلفات العلمية وانتشارها، وعناية الخلفاء بدور الكتب وبذلهم في سبيل إنشائها وتعميم منافعها، كل مترخص وغال حتى أصبح بالأندلس أكثر من ستين مكتبة عامة مفتحة الأبواب المرواد والراغبين في توسيع دائرة الاطلاع والمعارف"[1].

زادت الحياة العلمية من نشاطها وقوتها ورغبة الناس فيها، بغض النظر عن انتمائهم وأغراضهم المختلفة، كثرة المؤلفات العلمية وانتشارها، واهتمام الخلفاء الراشدين بدور الكتب وجهودهم في ترسيخها ونشر فوائدها، كل مرخصة ومكلفة، حتى تواجدت في الأندلس أكثر من ستين مكتبة عامة ذات أبواب مفتوحة، الباحثين والراغبين في توسيع دائرة المعرفة.

فلقد تهيأ لأهل الأندلس أسباب الشعر، وتوافرت لديهم دواعيه، فطبعوا على الشغف به وانبسطت ألسنتهم بقوله، فلقد كان للشعر خطوة لدى الملوك.

"ظل الأندلسي عربيا في ثقافته وفي تراثه، كما كان دائب التطلع إلى المشرق يحن إلى أرومته ويتشوق إلى مهد عروبته، ولكنه بات يشيد لنفسه كيانا متميزا وحضارة باذخة مباهيا بذلك قومه المشارقة...، لقد غدت له لهجة محلية مغايرة، كما أصبحت له عادات وتقاليد متميزة، وغدا أميل إلى المرح واللهو والاستمتاع بمباهج الحياة والحرص على التظرف والتأنق"[2].

كان الأندلسي عربيا في ثقافته وتراثه، حيث كان دائما يتطلع إلى الشرق، مشتاقا لأصوله، وشوقا لمهد عروبته.

[1] عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص 225.

[2] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 39.

المبحث الثاني:

المحور الأول: الوصف في الشعر الأندلسي

خصائصه:

أ-**الموضوع.**

ب-**اللغة.**

ج-**الصورة الشعرية.**

المحور الأول: شعراء الوصف

المحور الثاني :الفرق بين شعراء الوصف في المشرق وشعراء الوصف في الأندلس .

الوصف في الأندلس:

يعد الوصف أحد الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء على مر العصور لما فيه من الكشف والإظهار، فالشعر الأندلسي امتداد للشعر العربي في المشرق، ولكن الوصف في الشعر الأندلسي كان يتميز بطابع خاص، لما تتميز به الأندلس من طبيعة خلابة وغنى حضاري لفت الشعراء إليه، فأولع الشعراء بالوصف، وجاء الوصف في الشعر الأندلسي بالحدائق والنباتات والأزهار والحيوانات والخمر والمرأة ومجالس الطرب والعمران ومظاهر الحضارة وغيرها كثير، فلم يتركوا شيئا مر عليهم ورأوه بعين الوصف إلا وصفوه.

"طرق الأندلسيون في شعرهم فنون الشعر كافة، من الزهديات إلى التهكم ، ونظموا قصائد الحماسة، والنسيب، والرثاء، والهجاء والوصف خاصة"[1].

أما الشعر الوصفي فقد ظهر في أكثر أغراض الشعر، وأظهر الأندلسيون فيه عبقرية نادرة لا سيما عندما تعرضوا إلى وصف الطبيعة وجمال العمران ومجالس الأنس والطرب، نعم لم يظهر الوصف في الشعر العربي كغرض مستقل، وإنما رأيناه خلال المدح والغزل وغيرها من الأغراض، ولكننا نستطيع أن نقول إن اهتمام الأندلسيون بالوصف كان كبيرا، وعلى الرغم من امتزاجه في أكثر الأغراض الشعرية، فقد استطاع الأندلسيون أن يتفننوا فيه ويمنحوه بعض الاستقلال.

فهناك شعر وصفي لجميع مظاهر الحياة الحضرية الهائلة من وصف مجالس اللهو والغناء والرقص والشراب وآلته والصيد وأدواته والنساء وأحوالهن، وهناك شعر وصفي للطبيعة ولمظاهر العمران والقصور كما سنرى، وهناك شعر وصفي للحروب والسلاح والسفن، غير ذلك مما يتناول الحياة برخائها وحربها بطبيعتها الجميلة التي بها الله وبقصورها وساحاتها المرمرية التي زخرفتها يد الإنسان"[2].

لقد ظهر الشعر الوصفي في معظم قصائد الشهر، وأظهر الأندلسيون فيه عبقريتا نادرة خاصة عندما تعرضوا لوصف الطبيعة وجمال العمران ومجالس الناس والموسيقى، نعم، لم يظهر الوصف في الشعر

[1] مؤنس حسين، الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه، ط1، القاهرة، 1902، ص 41.

[2] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص 120.

العربي كهدف مستقل كان رائعا، وعلى الرغم من مزجه في معظم الأغراض الشعرية، إلا أن الأندلسيين تمكنوا من إتقانه ومنحه بعض الاستقلالية.

"عرف الأندلسيون برقة الوصف ودقة التصوير، وشهر عنهم التبريز في ذلك والافتنان فيه فكان شعرهم في الوصف طرفة فنية ممتعة، جميلة الشكل، نادرة المثال، حسنة المنظر، وكان شعراؤهم يحسنون شعر الوصف ويحبونه، ويجيدون نظمه ويكثرون منه، على حين هو أصعب أنواع الشعر منالا وأعزها مطلبا"[1].

عرف الأندلسيون بالدقة والتصوير والرقة في الوصف، واشتهروا بتألقهم في ذلك، فشعرهم في الوصف كان طرفة فنية.

"ولقد وصف ابن خفاجة الطبيعة بجميع مظاهرها ومباهجها، فوصف الطبيعة الصامتة برياضها وأشجارها وأزهارها وجبالها ومفاوزها وسمائها ونجومها ... ويبقى ابن خفاجة واحدا من أبرز شعراء الأندلس، وعلما من أعلام الوصف في الشعر العربي"[2].

فهذا ابن خفاجة يصف نهرا فيقول: [الكامل]

لِلَّهِ نَهْرٌ سالَ في بَطـــحاءِ أَشهى وُروداً مِن لِمى الحَسناءِ

مُتَعَطِّفٌ مِثلَ السِوارِ كَأَنَّهُ وَالزَهرُ يَكنُفُهُ مَجَرُّ سَمـــاءِ [3].

أطنب الشعراء في وصف جمال تلك البلاد من ثراء واسع، وعمران إلى رياض وبقاع دائمة الخضرة، فألهبت طبيعة الأندلس الجميلة قرائح الشعراء، فرسموا لوحات شعرية متنوعة بتصوير سهولها المسرعة، ومياهها الدافقة، وثمارها اليانعة فلا عجب إذا رأينا الشاعر الأندلسي يحيا مع الطبيعة ويحييها في شعره، فهي المعين الذي تتفجر منه شاعريته، وفي أرجائه يطوف خياله.

"وإليك ما أنشدوه، يصفون جمال الطبيعة وظواهر الجو، من ذلك الشعر الذي يملأ النفس بهجة والفؤاد إعجابا، إليك قول ابن سهل:

---

[1] عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص 117.

[2] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 202.

[3] ابن خفاجة، الديوان، ص 13.

الأَرضُ قَد لَبِسَت رِداءً أَخضَرا وَالطَلُّ يَنثُرُ في رُباها جَوهَرا

هاجَت فَخِلتُ الزَهرَ كافوراً بِها وَحَسِبتُ فيها التُربَ مِسكاً أَذفَرا

وَكَأَنَّ سَوسَنَها يُصافِحُ وَردَها ثَغرٌ يُقَبِّلُ مِنهُ خَدّاً أَحمَرا

وَالنَهرُ ما بَينَ الرِياضِ تَخالُهُ سَيفاً تَعَلَّقَ في نِجادٍ أَخضَر "[1].

"وقد ظهر التشبث بالوطن والتعلق به على أشده فيما نسب من شعر إلى عبد الرحمن الداخل، وما كان أولاه بأن ينسى ماضيه ومتاعبه، وأن يفتح نفسه وقلبه لحياة الأمن والنعيم بعد القلق والشقاء! لقد بصر بنخلة، فأثارت شجونه وأخذ يغني بأبيات منها:

نشأت بأرض أبت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلى"[2].

"ومنه ما بعث به إلى أخت له بالشام يصف فيه شوقه إليها وحنينه إلى بلده ووطنه الذي فارقه موجع لقلب فار من سيوف العباسيين، قال:

أيها الراكب الميمّمُ أرضي أقرِ مني بعضَ السلام لبعضي

إن جسمي كما علمتَ بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض

قُدِّرَ البَين بيننا فافترقنا فطوى البينُ عن جفونيَ غُمْضي

وقضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي [3].

إن حياة اللهو والمجون ولانتشار الموسيقى والغنا في الأندلس أدى إلى ظهور الموشح، إذ تعتبر الموشحات من الفنون المستحدثة.

"قال الأعمى التطبلي في موشح له:

ضاحكٌ عن جُمانْ سافرٌ عن بَدرِ ضَاقَ عنهُ الزمانْ

آهْ مِمَّا أَجِدْ قامَ بي وقعَدْباطشٌ متَّئِدُ

كلما قلتُ قَدْ قالَ لي أينَ قَدُ [4].

[1] عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص 119.

[2] سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، شعر الطبيعة، ص 248.

[3] الركابي جودت، في الأدب الأندلس، ص ص 82-83.

[4] المصدر نفسه، ص 294.

"ابن الرومي فهو يقول:

يطوف بكاسات العطار، كأنجم فمن بين مقض علينا ومنغض.

فالشاعر الأندلسي استعاد هذا المعنى الشائع، المستنفذ، لكنه ألمح إليه وبالغ فيه، إذ جعل الخمرة تبدو كالكوكب الدري للمترصد"[1]

إن الوصف الأندلسي كثير التعقيد، وفي الآن ذاته كثير الذهنية والتأليف، وّإن الشاعر لا يعاني خلاله تجربة تطأه، بل أنه يحاول أن يبدع أشكالا من الصور والتشابيه محاولا ان يبرز بها سائر الشعراء، وقد رأينا كذلك أن هذا الوصف الذي يوهم بالجدة، هو في الواقع مشبع بروح الشعر القديم، وقد مثلنا على هذا الواقع بأمثلة عديدة، ويمكننا أن نلخص تلك الخصائص العامة المتعددة بنزعة واحدة ندعوها نزعة المعادلات الوصفية"[2].

فمن الخصائص التي امتاز بها شعر الطبيعة في الأندلس أنه تأثر بالشعر الإسلامي خصوصا العصر العباسي، حتى أن شعراء الأندلس لقبوا باسم شعراء المشرق، كما أنه قد اتسم الشعر الأندلسي بالبساطة في التعبير، وقدرته على استخدام التصورات الجميلة والواضحة، وبسبب انتشار الغناء في المجالس الأندلسية، فقد اتسم الشعر بالإيقاع الموسيقي الواضح الذي نراه في ألفاظهم وتراكيبهم.

"هو شعر يمثل تعلق الشعراء الأندلسيين ببيئتهم وتفضيلها على غيرها من البيئات، بعد أن كان هو أهم متعلقا بصورة الجزيرة العربية، وقد رأينا كيف أن ابن خفاجة يتعلق بالأندلس، ويراها جنة الخلد، ويرى أن إلى ما فيها جميل مطرب، ولابن زيدون وابن حمديس ولغيرهما من الشعراء مثل هذا التعلق، وهذا الحب كما رأيناه"[3].

وقد استطاع شعراؤها أن يصفوها في كثير من الحالات من خلال نفوسهم، ولكنهم نظروا إليها على الغائب نظرة مصور، فبدت لعيونهم أن يتجردوا من ماضي شعر الطبيعة، وإن كانوا قد طبعوه أحيانا بطابعهم وأخضعوه لمقومات بيئتهم، ولئن استطاع بعضهم في عدد من القصائد خلجات

[1] حاوي إبليا، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ج2، ص 92.

[2] حاوي إبليا، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ج2، ص ص 95-96.

[3] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 131.

نفسه نحوها...، وهكذا بقي شاعر الطبيعة الأندلسي، على رغم حسه العميق وحبه للطبيعة يصورها ويزخرفها ببصره ويجسمها ويجملها بخياله"[1].

ومن الجدير بالذكر أن لطبيعة الأندلس دور عظيم في الشعر الأندلسي لسحر أراضيها وأنصارها الجارية، فضلا عن المناظر الطبيعية الخلابة التي فتن بها كافة الشعراء، وأفتنوا في وصفها، كما اشتهر ضمن أغراض الشعر الأندلسي الحنين لبلاد المشرق العربي، وأكثر اشتهر الشعر والأدب في ذلك العصر، وأكثر ما يميزه هو الموشحات وتعدد أغراض الشعر الذي نظمها الشعراء فضلا عن ظهور شعر الزجل.

أ-الموضوع:

تعددت موضوعات الوصف في العصر الأندلسي، حيث وصفوا طبيعة الأندلس الطبيعية والصناعية بما تشمله من أنهار وحقول وجبال وبرك وأحواض وقصور، ومن أهم الأمور التي وصفوها: الروضيات والمدن الأندلسية، والثلجيات .... ،أي أن الوصف شمل جميع الجوانب الطبيعية.

"لم يترك الأندلسيون حالة من حالاتهم النفسية والاجتماعية نظموا فيها الشعر، ولم يدعو أغراضا من الأغراض التي يصح أن يقال فيها إلا ضربوا فيه بسهم، فلا تكاد تجد ناحية من نواحي الحياة عندهم لم يسجل لهم فيها شعر، والمأثور من كلامهم شاهد عدل وبرهان ساطع على ذلك"[2].

فلقد وصف الشعراء الأندلسيين كل ما رأته عينهم، فلم يتركوا حالة من حالتهم النفسية والاجتماعية دون أن يؤلفوا الشعر فيها، ولد يدعوا إلى أحد الأغراض التي يصح قولها إلا أنهم ضربوها بسهم.

"وقد تناول شعر الطبيعة في العربية، كما تناول عند الغربيين الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة، ويقصد بالطبيعة الحية ما اشتملت عليه أصناف الحيوان ما عدا الإنسان، وبالطبيعة الصامتة مظاهرها ووجودها المتجسد في سهولها وبحارها وسمائها وبواديها وحدائقها وحقولها ما إلى ذلك"[3].

---

[1] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص 134.

[2] عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص 111.

[3] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 125.

ولما انتقل العرب من البداوة إلى الحضارة وعرفوا نعيم الحياة وترف القصور وجمال الرياض، تطور شعر الطبيعة، ولكنه لم يستطع أيضا أن يستقل كفن خاص، وبقي هو والوصف ممزوجا بأغراض أخرى كالغزل والمح والطرد والخمر، وكانت الطبيعة التي وصفها الشعراء آنذاك تختلف عن طبيعة البدوي في عناصرها ومقوماتها"[1].

وبما أن العرب انتقلوا من البدو إلى الحضارة، وعرفوا نعيم الحياة ورفاهية القصور وجمال الرياض، فقد تطور شعر الطبيعة، لكنه لم يستطع أن يقف وحده كفن خاص، وظل الوصف مختلطا بالأغراض الشعرية الأخرى.

"قال بعض الأندلسيين يصف بركة عليها عدة فوارات:

غَضِبَتْ مَجَارِيهَا فَأَظْهَرَ غَيْظُهَا مَا فِي حَشَاهَا مِنْ خَفِيِّ مُضْمَرِ

وَكَأَنَّ نَبْعَ اَلْمَاءِ مَنْجِنْبَاتْهَا وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهُ أَحْسَنَ مَنْظَرِ

قُضْبٌ مِنْ اَلْبَلُّورِ أَثْمَرَ فَرْعُهَا لَهَا اِنْتَهَتْ بِاللُّؤْلُؤِ اَلْمُتْدَرْ "[2].

"وقال أحمد بن عبد ربه:

فكيف ولي قَلْب إذا هَبّت الصبا أهاب بشَوق في الضُّلوع مَكِين

ويهتاج منه كُلما كان ساكناً دُعاءُ حمامٍ لم تَبِت بوُكوَن

وكان ارتياحي من بُكاء حمامةٍ كذي شَجَن داويتَه بشجون

كأنّ حمامَ الأيك لمّا تجاوبتْ حزين بكَى من رَحمة لحزين [3].

ب–اللغة:

كانت اللغة العربية هي أكثر اللغات شيوعا في الأندلس، فلقد انتشرت بشكل سريع في نطاق واسع بين سكان الأندلس، وكانت تعد وقتها لغة الحضارة الغالبة والعلم المتفوق.

[1] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص 127.

[2] المصدر نفسه، ص 152.

[3] المصدر نفسه، ص 156.

"صارت اللغة العربية لغة وطنية في الأندلس، يتحدث بها سكان البلاد جميعا، ويتوفرون على أدبها توفرا يصوره على نحو عجيب، المقري وابن خاقان والقزويني، فيذكرون أن الشعر يشيح بين العامة من الفلاحين والصناع وبين الطبقات جميعا.

وبهذا لم يعد عرب الإسبان ومستعمروهم يلتمسون المعاني العربية القديمة والحديثة، وإنما يمثلون المعاني كما تتصورها نفوسهم، وكما يتصورها الناس في كل طبقة ومكان"[1].

أصبحت اللغة العربية هي اللغة الوطنية للأندلس، التي يستخدمها جميع سكان البلاد، كما أن لديهم ثروة من الأدب التي يصورها الشعراء بشكل غريب، وكما تدركها أرواحهم ويراها الناس في كل طبقة ومكان.

"ولم يلبث أن صار صناعة قوم من المتأدبين عالجوه، فجرى على ألسنتهم مستمدين من عربيتهم جزالة اللفظ وفصاحة القول، ومن جمال البلاد ومحاسن طبيعتها ودقة التصوير وحسن العبارة... وأحب الخلفاء والرؤساء هذا النوع من الكلام، فشاركوهم فيه وأنصتوا في استماعهم له وأغدقوا عليهم منوالهم وعطياهم ما جعلهم في بلهينة عيش ونعومة بال، وملئوا أعينهم من زخرف الدنيا وزينتها، وقربوهم إليهم، واتخذوهم بطانة وأعوانا، فأفسحوا بذلك لهم مجال القول والافتنان فيه"[2].

فسرعان ما تحولت إلى صناعة أهل الأدب الذين عالجوها، فكانت تجري على ألسنتهم اللغة العربية في جزالة ألفاظها وفصاحة كلامها، فهي نابعة من جمال البلاد وفضائلها الطبيعية، ودقة التصوير فحب هذا النوع من الكلام جعل عيونهم مليئة بزخارف العالم، هذا ما جعلهم قربين من الشعراء كمتابعين ومساعدين لهم.

"سهولة الألفاظ وسلاستها، واتساق العبارات وانسجامها، ووضوح المعاني ودقتها وظهورها والبعد، عما هو بسبيل إلى كد الذهن وإعمال الفكر وعن تحميل الألفاظ ما لا يطبق، لذلك كان

[1] سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص 258.

[2] عبد العزيز مُحَمَّد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص 108.

شعرهم رقيق الديباجة خفيف على السمع حتى فيما لم يخلق له الرقة ولم تحسن في ثناياها كوصف الحروب وآلاتها"[1].

سهولة الكلام ونعومته، وتماسك التعبيرات وتناسقها، ووضوح المعاني ودقتها وظهورها، وبعدها عما يؤدي إلى تعب العقل وإعمال الفكر.

"لقد تفنن الأندلسيون بمعاني الأوائل في قصائدهم، وكشفوا عن قدرتهم على تطوير المعاني والزيادة فيها وتحويرها، ويرى الباحث أن هذا الاتقان في التصرف بمعاني سبقوهم من المشارقة"[2].

لقد أتقن الأندلسيون معاني الأوائل في قصائدهم، فكشفوا عن قدرتهم على تطوير المعاني وزيادتها وتعديلها، فيعتقد هذا الباحث أن هذا التمكن من التعامل مع معاني أسلافهم من الشرق.

"لم يتوقف شعراء الأندلس في بناء معانيهم عند تقليد معاني الشعراء الأوائل ومحاكاتهم، وإنما تجاوزا ذلك إلى إعادة صياغة معاني التراث الشعري القديم، صياغة جديدة تتناسب مع تجاربهم الشعرية وروح عصرهم، فاستطاعوا بذلك أن ينقلوا ذلك التراث العربي، وأن يخرجوه من قوالبه ونصوصه الأصلية ليضعوه في قوالب جديدة، فرضتها طبيعة الموقف"[3].

لم يتوقف شعراء الأندلس عن بناء المعاني عن تقليد معاني شعراء المشرق فقلدوهم، كما أنهم تجاوزوا ذلك إلى إعادة صياغة معاني التراث الشعري القديم بصيغة جديدة تناسب تجاربهم الشعرية وروح عصرهم.

[1] المصدر نفسه، ص ص 160-161.

[2] معين خليف القرالة، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 99.

[3] المصدر نفسه، ص 176.

"وابن خفاجة... يفضل الأندلس على الدنيا، ويرى فغيها جنة الخلد، ولو خير بلد لاختارها فأقبل على الرياض واتصل بالبساتين وتعلق بمباهج الطبيعية فرآها كعروس، ووصفها في صور جميلة وتعابير رقيقة تدل على تجديد اللفظ والمعنى" [1]قال:

فِي أَبْطُحٍ رَضَعَتْ ثُغُورُ أُقَاحَهْ أَخْلَافِ كُلّ غَمَامَةٍ مِدْرَارًا

نَثَرَتْ بِحَجَرِ اَلْأَرْضِ فِيهِ يَدُ اَلصِّبَا دُرَرِ اَلنَّدَى وَدَرَاهِمَ اَلنَّوَّارُ [2]".

إن الأندلسيين قد عنوا بشعرهم عناية فائقة، وشغلوا به عن كل شيء سواه، وتوفروا على ما يرغبه إلى الناس ويحببه لدى السامعين، فاختاروا له أجمل الألفاظ وأرقها، وأرصن المعاني وأظهرها.

ج–الصورة الشعرية:

تتمثل الصورة الشعرية في أشكال البيان العربي من تشبيه واستعارة وكناية، فقد استطاع الشعراء الأندلسيين أن ينسجوا صورهم الشعرية ويبدعوا فيها وفق التقاليد الشعرية عند شعراء المشرق التي شاعت آنذاك.

"لم يتوقف تأثر الشعراء الأندلسيين بمعاني الشعراء الأوائل، وهذا منهم الفنية، بل تتجاوز ذلك إلى التأثر بصورهم الشعرية التي تمثل إحدى الركائز الفنية التي تقوم عليها القصيدة العربية القديمة ...وقد حافظ شعراء الأندلس على علوم البيان في إخراج صورهم وتطويعها لتتناسب مقتضى الحال لديهم"[3].

ولم يكف الشعراء الأندلسيون عن تأثرهم بمعاني الشعراء والأوائل ومذاهبهم الفنية، بل تجاوزوا ذلك ليتأثروا بصورهم الشعرية التي تمثل أحد الركائز الفنية التي قامت عليها القصيدة العربية القديمة.

"لقد جاءت الصورة الشعرية الأندلسية مستمدة من محيط الشاعر من الطبيعة الأندلسية التي حاكاها وأخضعها لخياله وتجربته الخاصة، وتوحد معها وبث فيها مشاعره وأحاسيسه، فنجدها قوية وحزينة وفرحة حسب مقتضى الحال الذي أراده لها الشاعر، لقد كانت الطبيعة الأندلسية بكل مكوناتها

[1] لجنة من أدباء الأقطار العربية، الوصف، ص ص 99-100.

[2] ابن خفاجة، الديوان، ص 132.

[3] معين خليف القرالة، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 255.

حاضرة في صور الأندلسيين في شتى المواقف والظروف، فهذا ابن شهيد يرسم صورة المعركة والقتلى فيها، فيقول:

" وَتَدْرِي سِبَاعُ اَلطَّيْرِ أَنَّ كَمَاتَهُ إِذْ لَقِيَتْ صَيْدَ اَلْكَمْأَةِ سَبَّاغْ .
لَهُنَّ لُعَابٌ فِي اَلْهَوَاءِ وَعِـــزَّةٍ إِذَا جَدَّ بَيْنَ اَلدَّارْعِينْ قُرَاعٌ .
تَطِيرَ جِيَاعًا فُوقَهُوتـــــرْدَهَا ظَبَاهُ إِلَى اَلْأَوْكَرْ وَهِيَ شِبَاعْ .
وَأَلْحُمُ مِنْ أَفْرَاخِهَا فَهِيَ طَوَّعَهُ لَدَى كُلِّ حَرْبٍ وَالْمُلُوكَ تُطَاع .
تُمَاصِحْ جَرْحَاهَا فَيُجَهِّز نَقَرَهَا عَلَيْهِمْ وَلِلطَّيْرِ اَلْعَتَّاقْ مَصَاعْ " .

جاءت الصور الشعرية الأندلسية من محيط الشاعر، من الطبيعة الأندلسية التي رواها وأخضعها لخياله وتجربته الخاصة واتحد معها وبث فيها مشاعره، كما هو في شعر ابن شهيد يرسم صورة المعركة والموتى فيها.

"لقد أراد الشاعر من خلال هذه الصورة وصف قوة الجيش، وأن الطير تسير فوقه وتتبعه، لأنه سيخلق لها جثث القتلى لتأكل منها، وتمثل صورة ابن شهيد للمعركة براعة الأندلسيين في محاكاة التراث الأدبي، وخاصة من الناحية الفنية، وتقوم معظم الصور الأندلسية على الاستعارات القريبة ذات الدلالة البعيدة التي تحتاج لتحليل والكشف عنها"[1].

أراد الشاعر من خلال هذه الصورة أن يصف قوة الجيش، وأن الطائر يمشي فوقه وتتبعه لأنه سيترك الجثث ليأكلها، وتمثل صورة ابن شهيد للمعركة أن مهارة الأندلسيين في محاكاة التراث الأدبي، خاصة من الناحية الفنية.

"فالشاعر الأندلسي كما يراه غارسيا غوميس "ينتقل بذهنه انتقالات سريعة يلم فيها بالمتباعدات، فنجده يشبه شيئا صغير بشيء كبير كتشبيه الإبرة الدقيقة بالشهاب أو يفعل العكس، فيشبه شيئا كبيرا بشيء صغير كتشبيه مجاذيف القارب بأهداب العين"[2].

شعراء الوصف :

[1] معين خليف القرالة، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 259.
[2] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص ص 227-228.

عرف الشعر الأندلسي وخاصة الوصف في الشعر الأندلسي العديد من الشعراء الذين برزوا وبرعوا وأجادوا في نظم الشعر في موضوعات مختلفة خاصة الوصف في الشعر الأندلسي، ومنهم ابن زيدون وجبيته ولادة بنت المستكفي، وأبوالبقاء الرندي، ولسان الدين الخطيب، ابن خفاجة، أبو إسحاق الألبيري، والمعتمد بن عباد وعمارة اليمني، وابن هاني البلنسي، وابن الرقاق الأندلسي، وابن دراج القسطلي، وابن سهل الأندلسي وغيرهم كثير[1].

"وقد نبع في بلاد الأندلس شعراء استطاعوا أحيانا أن يجاروا الفحول من شعراء المشرق في بعض الأغراض وإن كانوا قد قصروا في أغراض أخرى، ولم يستطيعوا أن يتفوقوا عليهم، ولابد لنا هنا من استعراض بعض الأسماء اللامعة على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر...، يأتى ابن عبد ربه في طليعة هذه الأسماء...، ومن الأسماء المشرفة في سماء الشعر الأندلسي ابن هانئ، وهو صاحب القصيدة المشهورة:"

" تَقُولَ بَنوْا اَلْعَبَّاسْ هَلْ فَتَحَتْ مِصْرُ فَقَلَّ لَبَنِيٌّ اَلْعَبَّاسْ قَدْ قُضِيَ اَلْأَمْرُ !

وَقَدْ جَاوَزَ اَلْإِسْكَنْدَرِيَّةَ جَوْهَـــــــر تُطَالِعُهُ اَلْبُشْرَى وَيُقَدِّمُهُ اَلنَّصْرُ "[2].

في بلاد الأندلس كان هناك شعراء تمكنوا أحيانا من مضاهاة فحول شعراء الشرق في بعض الأغراض حتى لو كانت مقصرة في أغراض أخرى ولم يتمكنوا من التفوق عليها.

"وقد عرف من شعراء االدولة العامرية في قرطبة ابن دراج القسطلي ...، وهو صاحب الدالية المشهورة في سليمان بن الحكم.

شَهِدَتْ لَكَ اَلْأَيَّامُ أَنَّكَ عِيدُهَا لَكَ حَنَّ مُوحَشَهَا وَآبَ بِعِيدِهَا "[3].

"ابن خفاجة... من شعراء دور ملوك الطوائف تتمثل فيه الجدة والحداثة، ويعكس بيئة الأندلس وطبيعتها الضاحكة، وتتجلى فيه الصفة الأندلسية وحبه للطبيعة أكثر من غيره، فلنسمعه يصفها وقد اختالت زينة وبهجة وبدت تشارك العادة الفائتة في جمالها"[1].

[1] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص 87-88-89.

[2] ابن هاني الأندلسي، د ط، دار بيروت، 1980، ص 131.

[3] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص ص 90-91.

وَكِمَامَةٌ حَدَرَ اَلصَّبَاحُ قِنَاعَهَا عَنْ صَفِيحَةٍ تَنْدَى مِنْ اَلْأَزْهَارِ.

فِي أَبْطُحٍ رَضَعَتْ ثُغُورُ أُقَاحَهْ أَخْلَافِ كُلّ غَمَامَةٍ مِدْرَارًا .

نَشَرَتْ بِحَجَرِ اَلْأَرْضِ فِيهِ يَدُ اَلصِّبَا دَوْرَ اَلنَّدَى وَدَرَاهِمَ اَلنَّوَّاز"[2].

أنماط مختلفة من الجودة، بعض صفات الشعر في الأندلس، فإن وصف الطبيعة، وهو أبدع أشعارهم، قد عرف هناك ازدهاره ووجد في سماء الأندلس شمسه ونهاره، وقد رأينا كيف كانت الطبيعة مثار قرائح الشعراء الأندلسيين"[3].

أنواع مختلفة من الجودة، فبعض خصائص الشعر في الأندلس، وصف الطبيعة وهو أفضل ما في شعرهم.

"قال ابن حمديس يصف الخمر في ظلال الطبيعة:

نَحْنُ فِي جَنَّةٍ نَبَاكِرْ مِنْهَا سَاحِلِيٌّ جَدْوَلُ كَسَيْفٍ مُجَرَّدٍ .

صَقَلَتْ مُثَنَّهُ مَدًّا وَسَاشِشْ مِنْ خِلَالِ اَلْغُصُونِ صَقْلاً مُجَدَّدًا"[4].

"كان ابن حزم متعدد المواهب متنوع الجوانب، ومن أفداد الأندلس وأعلام العرب، امتاز بشاعريته، وثمة نمط آخر من الشعر أجاد فيه ابن حزم، ولعله تفرد به بين أدباء الأندلس، إنه الشعر الفلسفي الذي تخفت فيه نبرة التحدي ونخف خلاله حدة الخصام، حيث يغدو المجال وجيبا في عالم الفكر، ويكون بوسع العقل أن يبلغ أعلى قمة التجريد الذهني:

أَمْنُ عَالَمِ اَلْأَمْلَاكِ أَمْ أَنْتَ أُنْسِي أَيْنَ لَيٌّ فَقَدَ أَزْرِي بِتَمَيُّزِي اَلْحَيِّ .

أَرَى هَيْئَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ غَيْرُ أَنَّهُ إِذَا أَعْمَل اَلتَّفْكِيرُ فَالْجِرْمُ عُلْوِيٌّ "[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص 105-106-107.

[2] ابن خفاجة، الديوان 6 ت، عبد الله منرة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2006، ص 132.

[3] الركابي جودت، في الأدب الأندلسي، ص ص 122-123.

[4] المصدر نفسه، ص 135.

[5] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 117.

وفي ذلك يصف ابن دحية موشحات الأندلسيين بأنها "زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته وهي مكان الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق[1]".

في هذا يصف ابن ضياء الموشحات الأندلسية بأنها جوهر الشعر، وهي مكان الفنون الذي كان المغاربيون فيه غرباء عن أهل الشرق، وظهروا فيه مثل شروق الشمس والنور الساطع.

"ومن طريف ما يروى عن أبي جعفر هذا، مما يدل على حدقه للموشحات وإجادته نظمها... وممن اشتهر في عهدهم كذلك يحي بن نفعي، المتقدم ذكره –موشحات فائقة بديعية، فمنها ما يقول فيه:

مارِدُ بِي لَابِـــــــسٍ ثَوْبِ اَلضَّنَا اَلدَّارِسِ إِلَّا قَهْرٌ

فِي غَصْنَمَـــــــائِسْ شُعَاعُهُ عَاكِسٌ ضَوْءُ اَلْبَصَرِ "[2].

"الشعراء يتجهون إلى البحر ويصفون الأساطيل والسفن الجارية فيه، وقد تفتي كثيرون منهم في أوصافها وبخاصة أبو عمر القسطلي وابن خفاجة، وابن الآبار، وابن وهبون.

ومن أبرع أوصافهم للسفن نقول ابن يزيد بنعبد الله بن أبي خالد:

وَيَا لِلْجَوَارِي اَلْمُنْشَآتِ وَحُسْنِهَا طَوَائِرْ بَيْنَ اَلْجَوِّ وَالْمَاءِ عَوْمـــــــًا .

إِذْ نَشَرَتْ فِي اَلْجَوِّ أَجْنِحَةً لَهَـــا رَأَيْتُ بِهِ رَوْضًا وَنُورًا مَكَـــــــــــمْهَا .

وَإِنْ لَمْ تَهْجُهُ اَلرِّيحُ جَاءَ مُصَاحَفًا فَمَدَّتْ لَهُ كَفًّا خَصِيبًا وَمِعْصـــــمَا .

مُجَاذِفْ كَالْحَيَّاتِ مَدَّتْ رُؤُوسَهَا عَلَى وَحَلَّ فِي اَلْمَاءِ كَيْ تَرْوِيَ اَلظَّمَأَ "[3].

برع ابن زيدون كما برع في فنون النثر، حتى صار من أبرز شعراء الأندلس المبدعين وأجملهم شعرا وأدقهم وصفا وأصفاهم خيالا، كما تميز عن غيره من الشعراء في هذا العصر بقصة حبه لولادة بنت المستكفي، والذي أبدع في وصف قصة حبها في شعره.

---

[1] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص 328.

[2] عبد العزيز محمد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، ص 167.

[3] سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص ص 262-263.

"وصف ابن زيدون ولادة بجسدها البض الأبيض وبشعرها الذهبي الأشقر:

رَبِيبُ مَلِكٍ كَانَ اَللَّهُ أَنْشَأَهُ مِسْكًا وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ اَلْوَرَى طِيـــــنًا .

أَوْ صَاغَهُ وَرَقًا مَحْضًا وَتَـــــوَجَّهَ مِنْ نَاصِحِ اَلتِّبْرِ إِبْدَاعًا وَتَحْسِينًا "1.

الفرق بين شعراء الوصف في المشرق وشعراء الوصف في الأندلس:

لا يمكن إبعاد الشاعر عن المكان الذي يعيش فيه، وإن كان ذلك فإن فطرته ستعيده إلى رحاب بيئته التي ولد بها، فعبر جميع مراحل الشعر العربي ظهر تأثير المكان على قصائد الشعراء. وبالتالي تأثير طبيعة ذلك المكان، من حيث كيفية قراءة تلك الطبيعة من قبل الشعراء فلقد كان في العصر الجاهلي أكثر تمسكا بملامح طبيعتهم الصحراوية، وتطور هذا التأثر عند الشعراء مع تطور حياتهم سواء المفردات أو الأسلوب. وظهر ذلك لدى شعراء العصر العباسي.

"أبهر الشاعر البدوي ما حواليه وامتزج به امتزاجا قويا فوصفه وشمل بوصفه البلاد سماءها وأرضها؛ وما في تلك الأرض من حيوان ونبات وجهاد؛ وما هنالك من مظاهر البيئة كالأطلال والحل والترحال، والحروب ومجالس الأنس واللهو؛ وما تحمله الطبيعة من أمطار وصحو ورياح إلى غير ذلك من مشاهد البادية؛ ولم يكن الوصف عادة غاية في ذاته بل كان الشاعر يلجأ إليه كبرهان يدعم به حججه أو وسيلة ينال بها رغائبه أو سبيلا إلى تحريك الشعور وإثارة العواطف. ومن أشهر الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني، وعنترة العبسي".[2]

كانت الطبيعة وما زالت الملهم الأول لأرباب الفن ولاسيما الشعراء ذلك أن الطبيعة ترافق الشاعر بمظاهرها طوال حياته، ويستوحي منها عناصر تجربته الشعرية. وقد كان وصف الطبيعة في الشعر القديم بابا طرقه معظم الشعراء واتسع المجال فيه ولم يخل منه ديوان من دواوينهم. وقد عالج الشعراء، الطبيعة في العصور المختلفة وأمعنوا في وصفها وتصوير مظاهرها.

[1] ابن زيدون، الديوان: عبد الله منرة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2005، ص 13.

[2] -الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، ط2، البولسية، 1953، ص:64.

لكن الوصف في الشعر الأندلسي كان يتميز بطابع خاص بما تتميز به الأندلس من طبيعة خلابة، وغنى حضاري لفت الشعراء إليه فأولع الشعراء بالوصف، وجاء الوصف في الشعر الأندلسي بالحدائق، والنباتات والأزهار والحيوانات، ومظاهر الحضارة...

"إن طبيعة الأندلس الجذابة أغرت الناس فأهوها منذ العصور القديمة فنزلها الكلت والبسك والجلالقة، ونزلها البرابرة والقرطجنيون واستولى عليها الرومان والفندل والقوط فالعرب. فتكون من ذلك التمازج بين عناصر الشعوب المتنوعة الرجل الأندلسي بطابعه الخاص الذي يميزه عن غيره.[1]

لقد تنوعت موضوعات الشعر العربي وإذا بحثنا عن الموضوعات التي تناولها الشعراء القدامى نجد أنها مواضيع متنوعة بتنوع الحياة والبيئة إلا أنه في موضوعات الوصف في الشعر الأندلسي اختلفت باختلاف الزمان فجمال البيئة الأندلسية قد ساعد على ازدهار الوصف وإبداع الشعراء في أوصافهم.

يأتي الشعر ابن تلك البيئة فالشعر الصحراوي الجاهلي هو غير الشعر الحضري المترف والبدوي الذي يعيش في خيمة من شعر يأتي شعره مختلفا عن ربيب المدن التي صقلت الحضارة جزءا من شخصيته وخياله وقد تكون أغراض الشعر واحدة وإن اختلفت أدواتها التعبيرية والبيئة التي تخلقها.

[1] – الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، ص:800.

خاتمة

خاتمة:

الوصف هو فن من فنون الاتصال اللغوي الذي يستخدم لتصوير المشاهد.

وبعد دراسة هذا الفن لابد من الوقوف عند أبرز النتائج التي توصلنا إليها، وأهمها:

لوصف غرض من أغراض الشعر القديمة حيث واكب الإبداع الشعري منذ الجاهلية ولا يزال كما أنه يعتبر عمود الشعر، حيث أن أي من أغراض الشعر يكون وصفا، فلقد تطور هذا الفن عبر العصور، ويقسم الوصف حسب مراحل تطوره إلى ثلاثة أقسام وهي: الوصف النقلي، والوصف المادي، والوصف الوجداني.

فالوصف في الشعر الجاهلي منصرف إلى مظاهر الطبيعة الخارجية سواء كانت هادئة كالصحراء والرمال والجبال وما شاكل ذلك، أو حية متحركة كالإبل والخيل التي كانوا يركبونها...

لقد ترك لنا الجاهلي إرثا عظيما أثرى به الخزينة التاريخية للفكر والحضارة، فكان رواية لأخبار الأمم والقبائل، راصدا ومصورا طبيعة حياتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية، فكان صلة وصل بين عهد عابر وعهد متجدد ومتطور.

إن قدرة الشاعر الجاهلي على تطويع مظاهر الطبيعة في إبداعه واسعة ليس لها حدود، حيث يحسن استغلال صورة الطبيعة حسب وقفه النفسي وحسب طبيعة الأحداث فينتج صورا بديعية تكاد تكون لوحاتت أبدع في رسمها، وأضفى خبراته عليها.

كما أن طبيعة عصر الشعراء الجاهلين كانت بسيطة غير مركبة فكانت الصحراء، وكانت المراعي، وكان الإمتداد أمامهم يغلف مشاعرهم في شيء من البساطة.

إن الشاعر الجاهلي لم يفرض إرادته الفنية على الأشياء التي وصفها بل كان يحاول نقلها إلى لوحاته نقلا أمينا يبقي فيه على صورها الحقيقية دون أن يدخل عليها تعديلا يمس جوهرها، فأبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا.

فلقد شكلت الطبيعة مصدرا أساسيا استوحى منه الشعراء إبداعاتهم بكل ما حملته مظاهر االطبيعة من صور جمالية موحية ومكانة دينية وعقيدة راسخة.

بعد العصر الأموي واحدا من أكثر عصور الأدب وازدهارا في نتاجه الشعري، فلقد بلغ الشعر العربي أوجها من هذا العصر خاصة في فن الوصف.

إن العصر العباسي هو أزهى عصور الأدب على الإطلاق، فقد بلغت الدولة فيه قيمة المجد في مظاهرها وخلف لنا العباسيون ذروة فكرية هائلة.

الوصف من الأغراض الشعرية استخدمها الشعراء في الشعر العربي مما خصص مفهوم أسلوب الوصف في الشعر العربي. فأصبح الشاعر يتميز بخياله العميق وسمى بالشاعر الواصف:وذلك لشدة دقته وقدرته على ابتكاره في الوصف فكان الوصف يتطور من عصر إلى آخر حتى وصل إلى وأُصِّلت قواعده حينها. ومن ثم طرأ على فن الوصف تطورا ملحوظا. وقد يتفاوت الشعراء في براعتهم الشعرية.

الشعر الأندلسي اتخذ من الطبيعة والمدن وأهم موضوعاته واشتهر في بلاد الأندلس، وذلك لتميزها بالمناظر الخلابة، والطبيعية الرائعة، ويتميز هذا الشعر بتعدد خصائصه الفنية.

والشعر في الأندلس امتداد للشعر العربي في المشرق فقد كان الأندلسيون متعلقين بالمشرق ومتأثرين بكل جديد فيه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

1. ابن المعتز، الديوان، دار صادر، بيروت، 908

2. ابن جعفر قدامة، نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1956

3. ابن خفاجة، الديوان: عبد الله منرة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2006

4. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و أدبه، تح: محي الدين، ط5، دار الجيل، 1981، ج

5. ابن زيدون، الديوان: عبد الله منرة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2005

6. ابن معتز، الديوان: دار صادر، بيروت، د.س،

7. ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة الوصف ط،ت: لسان العرب نسخة من العاملين، دار المعارف القاهرة، د.س

8. ابن هاني الأندلسي، د ط، دار بيروت، 1980

9. أبي النواس، الديوان، ت: بهجت عبد الغفور الحديثي، ط1، هيئة أبو ظبي، الإمارات المتحدة، 2010

10. الأخطل، الديوان: شرحه: مهدي مُحَمَّد ناصر الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994

11. امرؤ القيس، الديوان، ط2، دار المعرفة بيروت لبنان، 2004

12. أنيس ابراهيم و آخرون، المعجم الوسيط، مادة الوصف، ط5 دار المعارف، القاهرة، 2011،

13. البحتري، الديوان، ت: حسن كامل الصيرفي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1963، المجلد الأول

14. التونجي مُحَمَّد المحجم، المفصل في الأداب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ج2، 884.

15. حاوي إيليا، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1

16. حاوي، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، ج1،

17. ذي الرمة، الديوان: قدم له و شرحه أحمد حسن سبج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995

18. الركابي جودت، في الأدب الأندلس، ط2، دار المعارف، مصر، 1966

19. زهير بن أبي سلمى، الديوان، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2005،

20. سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، د ط، القاهرة، مصر، 1945

21. الصفار ابتسام مرهون، الأمالي في الأدب الإسلامي، د.ط، دار المنهاج، عمان-الأردن 2005

22. طليمات غازي: الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه ط1، دار الإرشاد حمص، دمشق، 1992

23. عبد العزيز مُحَمَّد عيسى، الأدب العربي في الأندلس، د ط، القاهرة، 1945

24. عبد العظيم قناوي، الوصف في الشعر العربي، ج1، د.ط، القاهرة مصر، 1949

25. العسكري أبو هلال، الصناعتين،تحقيق، علي البجاوي، مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1952

26. عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، د ط، دار الشرق، بيروت، 1975

27. عنترة ابن شداد، الديوان: د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1964.

28. الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، ط2، البولسية، 1953

29. فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1981

30. فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار العلم للملايين –بيروت- لبنان، 1981

31. القاضي النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلامي، د."، الدار القومية للنشر، د.س

32. لجنة من أدباء الأقطار العربية، الوصف، دار المعارف، د.ط، د.س.

33. مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي، د.ط، دار الجيل، بيروت، 1990،

34. مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، ج2، ط1، دار الشرق الجديد بيروت، 1960

35. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم و النشر، د.ط، القاهرة جمهورية مصر العربية 2012

36. معين خليف القرالة، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف وأثر الثقافة المشرقية في ترسيخ مذهب الأوائل، دار الفاروق، عمان، الأردن، 2016

37. مؤنس حسين، الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه، ط1، القاهرة، 1902

38. النابغة الجعدي الديوان، تحقيق ، واضح الصمد / دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1998

39. الهاشمي أحمد، جواهر الأدب العربي في أدبيات و إنشاء لغة العرب، د.ط، مصر، 1969، ج 1،

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الشكر والتقدير

الإهداء

مقدمة .....أ

الفصل الأول

مفهوم الوصف ومراحله

المبحث الأول :مفهوم الوصف ومراحله 03

1.مفهوم الوصف 03

2.أسباب انتشار الوصف في الشعر العربي. 05

3.أجود الوصف 06

4. مراحل فن الوصف 10

المبحث الثاني: خصائص الوصف عند شعراء المشرق عبر العصور 16

1.الوصف في العصر الجاهلي.....17

2.الوصف في عصر صدر الإسلام.....20

3.الوصف في العصر الأموي 23

4.الوصف في العصر العباسي.....26

أ-الموضوع 30

ب-اللغة 37

ج-الصورة الشعرية.....40

الفصل الثاني

أجواء الأندلس

المبحث الأول: أجواء الأندلس 45

1. الطبيعة في الأندلسي.....46

2. المجتمع الأندلسي.....50

3. البيئة الفكرية في الأندلس 52

المبحث الثاني :.....57

المحور الأول: الوصف في الشعر الأندلسي خصائصه. 58

أ-الموضوع .....62.

ب-اللغة. 63

ج-الصورة الشعرية.....66

المحور الثاني: شعراء الوصف 67

المحور الثالث: الفرق بين شعراء الوصف في المشرق وشعراء الوصف في الأندلس. 71

خاتمة 74

قائمة المصادر والمراجع.....82

ملخص

لقد شغل الوصف في الأدب الجاهلي والإسلامي في معظم قصائد الشعراء في تصويرهم لمظاهر الطبيعة حية وجامدة غير أنّ الشعراء العباسيين اهتموا بتصوير الجانب المادي من الحضارة الجديدة، وتعددت الموضوعات الوصفية فشملت جميع مظاهر الحياة عند العباسيين حتى إنّنا نرى الشعراء يسجلون الحياة داخل البيوت والقصور وما فيها من وسائل اللهو والتسلية، بل إنّهم يصفون وسائل الثقافة في عصرهم.

الوصف في الأندلس امتداد للشعر العربي في المشرق، فالشاعر يأثر ويتأثر ببيئته والزمان والمكان فهو يجعله يبدع في قصائده، وبالأخص في فن الوصف فتجده يصف كل ما تراه عينه، فراحوا يوسعون في دوائر الإبداع الشعري.

الكلمات المفتاحية : المشرق – الأندلس – الوصف – الشعراء .

Abstract

In pre-Islamic and Islamic literature, description occupied most of the poets' poems in their depiction of the life and static aspects of nature. However, the Abbasid poets were interested in depicting the material aspect of the new civilization, and the descriptive topics were numerous and included all aspects of life for the Abbasids, so that we see poets recording life inside homes and palaces and what is in them Means of amusement and entertainment, but they describe the means of culture in their time.

Description in An

Keywords: the Orient - Andalusia - Description - poets.dalusia is an extension of Arabic poetry in the Orient.